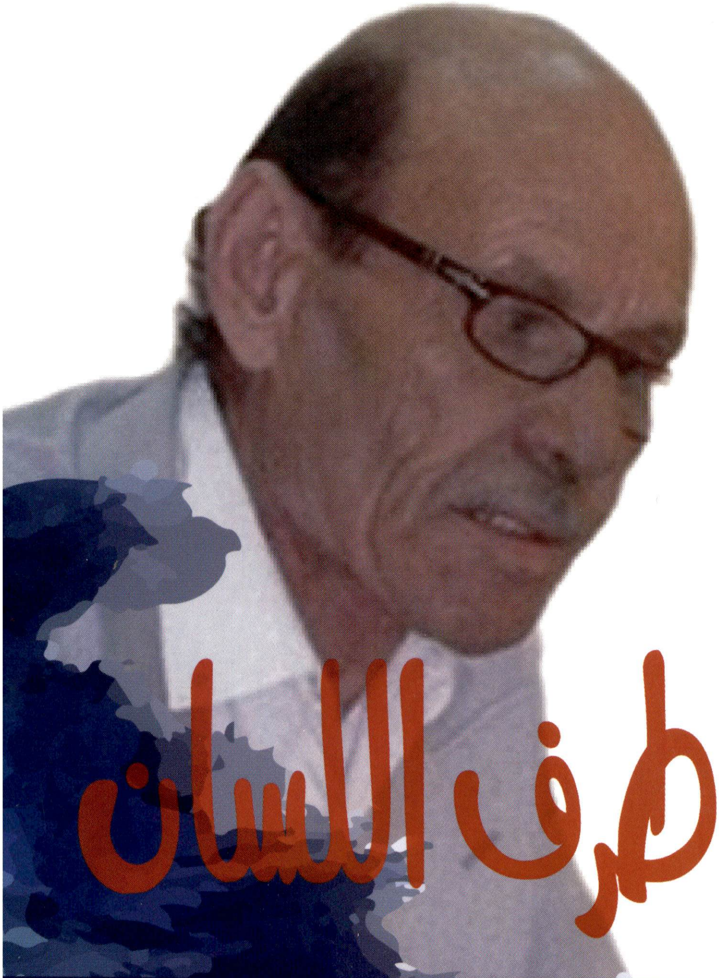
كامل الهادى عراب



على طرف اللسان

مقالات مجمعة

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

على طرف اللسان

مقالات مجمعة

كامل الهادى عراب

على طرف اللسان

مقالات مجمعة

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

كامل الهادى عراب
على طرف اللسان

الطبعة الأولى : 2020 م

رقم الإيداع المحلي: 2019/243

رقم الإيداع الدولي: 9789959-921-147

دار الكتب الوطنية بنغازي - ليبيا

هاتف: 7165022.21821+ - بريد مصور 4843580-21821+

ص.ب: 75454 - طرابلس Email: almosgb@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم ۞

الحمد لله رب العالمين ۞ الرحمن الرحيم ۞
مالك يوم الدين ۞ إياك نعبد وإياك نستعين ۞
اهدنا الصراط المستقيم ۞ صراط الذين
أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين ۞

صدق الله العظيم

كلمة

قبل أن يكون بين ايديكم هـذا الكتاب كنت قد عثرت عليه وهو في حالة جمع كامل من قبل زوجي المرحوم، الذي كان وقتها يعتزم دفعه لنشره وتوزيعه ليتمكن القراء من الاستفادة من مادته الصحفية . ولكن شاءت الظروف أن تقع بين يدي رزمة الورق المطبوع أثناء قيامي بمحاولة مسح الغبار المتراكم فوق أرفف مكتبة زوجي المرحوم كامل الهادى عراب المنزلية.

■ زوجة المرحوم

ليلى أحمد فريد

فكرة بسيطة

هذه الفكرة بسيطة ايضا، فلا معنى ان نجلس ثم نأخذ فى البكاء على شهدائنا الصغار الذين سقطوا فوق أرض فلسطين بينما حمامات الدم لا تزال قائمة فى فلسطين والانتفاضة ما تزال على اشدها .. فالانتفاضة تحتاج الى دعم عملي وحقيقي.

ومشروع محمد جمال الدرة لدعم الانتفاضة داخل الارض المحتلة يمكن ان يتطور الى عشرات الافكار الصغيرة التى لو التزم بها كل عربي وكل مسلم وقام بتنفيذها متطوعا ومنفردا لاكتشفنا فى وقت قصير اننا بهذا العمل نقدم دعما للانتفاضة عملي وملموس..

فمحمد جمال الدرة اغتالته رصاصة غادرة وهو فى طريقه رفقة والده لشراء كراسة وقلم استعدادا لليوم الدراسي الجديد، كان سعيدا، وكان اعزلا لا يحمل سلاحا لا هو ولا والده، لم يكن يهدد احدا ومع ذلك قتله اليهود اشباعا لشهوة الدم، وربما كان ذاهبا لشراء لعبة. لذلك فلن يتكلف الواحد منا كثيرا اذا هو قام بشراء كراسة وقلم، او اشترى لعبة وقام بارسلها الى بيت محمد جمال الدرة فى فلسطين، ولا بأس اذا قامت اسرة محمد جمال الدرة بجمع هذه الاشياء التى تصلها باسم (مشروع محمد جمال الدرة لدعم الانتفاضة) على ان تتولى بطريقتها الخاصة بيعها وتقديم ثمنها فى صورة دعم للانتفاضة فهل سيرهقنا ثمن كراسة وقلم وطابع بريد؟.

لا اعتقد ان هذه المبادرة ستكلفنا شيئاً يذكر ولكنها مع ذلك فستكون ذات قيمة فى نهاية الامر.. أولا يجب ان تعمم الفكرة بكل الطرق وفى كل بلاد العربي والمسلمين واينما كان الاحرار الشرفاء فى بلاد العالم وما اكثر المتطوعين الذين سيتحمسون لهذا المشروع ويقومون بتطويره بطريقة اكثر جدوى مما اعرضه الآن، لكن مع ذلك يجب الا يتردد الذين سيتحمسون لهذه الفكرة لحظة واحدة بل عليهم ان يشرعوا في التنفيذ!.

وفى رأي ان دعم الانتفاضة يتحقق بافكار من هذا القبيل افكار صغيرة وبسيطة ومع

ذلك عملية. وهي اذا تجمعت نتائجها فستكون بالغة النفع، بالغة الجدوى.. فانتفاضة الاقصى تحتاج الى دعم تلمسه بيدها، فلا الكلام فقط ولا الحماس فقط يجدي شيئا، إن الكلام والحماس دعم معنوي مطلوب ولكن الدعم المعنوي يجب ان يقترن به الدعم العملي.

لكن هذا المشروع سيفشل تماما بمجرد أن يتردد الواحد منا ويأخذ فى التفكير ما جدوى كراسة وقلم او ما جدوى لعبة ترسل الى بيت الطفل الشهيد محمد جمال الدرة فى فلسطين؟.

لا تفكر على هذا النحو بل سارع الى تنفيذ الاقتراح وانتظر فسترى نتائج باهرة فيما بعد خاصة اذا وصل الاقتراح الى ملايين الناس فى الاراضى العربية والاسلامية، وفكرة المشروع ستصل الى كل بيت عربى ومسلم ولكن ليس عن طريق (جريدة العرب) وحدها وانما عن طريقك انت ايضا اذا صنعت من نفسك داعية للمشروع ولا اريد أن اقول لك كيف.. أما كيف فهذه مسألة فكر فيها انت وستكتشف الطريقة!.

اما نحن اذا اكتفينا بانتظار ما تفعله الحكومات الرسمية او ما ستسفر عنه (القمم) و(القمم الشبيهة) فسنكون مجرد مثال سيء للسلبية.. اولا لانه ثبت أن هؤلاء لا يفعلون سوى الكلام وثانيا السنا نحن من يقع علينا واجب دعم الانتفاضة بكل الطرق؟.

حسنا، هذه بعض الطرق فماذا ننتظر.

ثم نحن الشعب والشعب هو الذى يفعل ويجب الا تتوقف عن الفعل ولو بالاظافر فاذا مزقنا اثواب السلبيات فستشعر الحكومات نفسها بالخجل.. هذا الكلام وما كتباه بالامس هو فى النهاية مجرد اجتهاد صغير ومتواضع لطرح (مشروع محمد جمال الدرة لدعم الانتفاضة) وهو اجتهاد يحتاج ولا شك الى من يتحمس له ويطوره وفوق ذلك، يحتاج الى من يرفض التردد ويبادر فورا الى العمل المباشر!.

وفى إطار هذه الفكرة المتواضعة التي اقدمها اقترح ان يبادر (اتحاد الناشرين العرب) بالتعاون مع اتحاد الادباء والكتاب العرب وبمعاونة كافة المؤسسات الثقافية فى الوطن العربي والعالم الاسلامي بجمع كل النصوص الادبية والقصائد الادبية والقصائد الشعرية التي حيّث الانتفاضة ومجلدات الشهداء وطبعها في مجلد واحد لصالح الانتفاضة على ان يلحق هذا العمل الذي سيكون جليلا بدون شك بمشروع ترجمة لكل لغات العالم الحية

وان يتطوع المترجمون الذين يجيدون تلك اللغات بالقيام بهذه المهمة الانسانية ومراعاة مخاطبة الضمير العالمي بهدوء كامل وبوجدانية صافية.

طبعا يجب ان نثق فى شرف الناشر العربي الذي سيتطوع بالقيام بهذه المهمة بحيث يستثمر المشروع لدعم الانتفاضة وتقديم حاصل او ناتج مادي لرجالها.

فعلى هذا النحو سنكون قد صححنا الفكرة التي أشار اليها أحد المتحدثين عبر قناة فضائية عربية والتى سخرت من الادب والشعر عندما أخذ يصف الراي المخالف له بأنه (كلام ادب، كلام شعر)، ولا أعنى بالطبع أن تقوم هذه المشاركة على أساس رد فعل وإنما على اساس قناعة حقيقية بان هذا العمل سيفيد الانتفاضة من الناحية المعنوية بفضح الجريمة عالميا من خلال الادباء والشعراء وماديا من خلال تحصيل عائد يتدبر به رجال الانتفاضة ما يحتاجون اليه فى معركتهم المقدسة.

وأعتقد هذا أقل واجب يقوم به الشعراء والادباء والناشرون العرب تجاه اشقائهم في المعركة.

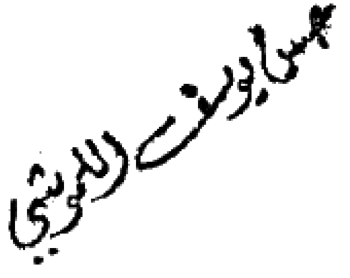
على ان قصائد الشعر تجدي فى جانب آخر مهم، فلو تحرك اتحاد الفنانين العرب وأختار عددا من هذه القصائد واسندها الى ملحنين جادين ومطربين ملتزمين وأقاموا بها حفلات تطوف كل المدن والقرى العربية والاسلامية لكان ذلك شيئا عظيما حقا، ويستطيع اتحاد الفنانين العرب ان يجد طريقة مثلى لتنظيم هذه الامور على ان تطبع الاعمال بعد ذلك فى شرائط وتسوق بحيث تدر عائدا ماديا لصالح الانتفاضة.

ليست هذه أحلام يقظة.. لقد اثبت شعبنا العربي فى كل مكان منذ انتفاضة الأقصى انه لم يفقد حيويته بعد، فلم يفقد نخوته بعد ولم يفقد تأثيره وقدرته على الحركة فى الوقت المناسب، وهذا شئ جدد فينا الامل حقيقة ورفع من معنويات أشقائنا الفلسطينيين ومادام الأمر كذلك فكل شئ ممكن وليس ثمة من مستحيل أمام الارادة الحرة..

هذه أفكار محددة لم أنتظر حتى تتبلور فى ذهني الى الصيغة النهائية وأنما اخذت أطرحها على الفور فى شكلها (الخام) وكما قلت اكثر من مرة هي اقتراحات قابلة للاثراء والتعديل والتطوير.. غير أن ما سيقتلها فى المهد وهذا مالا أتمناه لها هو أن تقابل بالتردد تحت أي مبرر كان.. وما كان منها قابلا للتنفيذ من خلال مبادرات فردية فليتم ذلك على الفور وما كان منها قابلا للتنفيذ عن طريق مؤسسات شعبية فليتم ذلك على الفور أيضا.. والمشروع هو مشروع عربي واسلامي، والانتفاضة في عنفوان ملحمتها فاي اهدار للوقت

سوف لن يفيدها فى شىء.

من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن إجتهد وأخطأ فله أجر واحد، على أن الاجر كله الآن للذين يبذلون دمائهم فداء للاقصى ولارض فلسطين!.



من يزرع الخوف

لا يحصد سوى الخراب

• لاول وهلة تراجعت مذعورا وانا لا اصدق ان يصل الامر في روسيا الى هذا الحد.

• مواطن روسي في حالة سكر يأكل طفلة عمرها خمسة عشر شهرا.. هل هذا ممكن؟.

• ومع ان روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى تحولت الى بلد الخوارق مما يجعلك تصدق أي شيء تسمعه الا أن هذه الوحشية تفوق كل قدرة الانسان على التصور.. انهم الان في روسيا يأكلون بعضهم بعضا هذا صحيح بالمعنى العملي والمجازي لهذه الكلمة..

وربما يهون من وقع هذه الاخبار السيئة هو ان هناك قوة جديدة تقاوم الانهيار الكامل وتتصدى له وفي مقدمة هؤلاء يقف الفنانون الذين نظموا قبل اسابيع معرضا يصرخ قي وجه الطبقة الجديدة ويندر بممارساتها الفاضحة بينما تجوع الملايين وتعيش على فضلات الطعام الذي تلتقطه من اكوام الزبالة او تموت على الارصفة وهي تتضور بلا لقمة تسد الرمق.

روسيا تحولت الان الى مستنقع كبير فيه اسوأ ما في العالم من اعمال ذميمة، قتل وسطو وسرقات وعنف واعتداءات في الشوارع وخطف واغتصاب وتجارة مخدرات واحتراف البغاء وتهريب اموال وشركات وهمية لتوظيف الاموال ونهب الثروات الوطنية من قبل مسؤولين في الدولة وفتح مخازن الاسلحة الثقيلة والخفيفة العادية والذرية وبيعها عن طريق السماسرة بابخس الاسعار وتحولت الى مأوي لعصابات الغانفستر والخارجين على القانون والمضاربين في السوق السوداء وبات من المالوف ان تجد من يهمس في اذنك بدون خوف او توجس:

• هل تعرف احد يمكن ان يشترى غواصة ذرية بخمسين الف دولار؟.

وبعد سبعين عاما من الاشتراكية والتبشير بالسعادة لكل الناس يتحول البلد الى ماخور للمتاجرة في الرقيق الابيض ومبغى لكل طالبي اللذة مقابل المال ويتحول الى مساحة كبيرة الاقتتال المافيات التي تتبادل الرصاص في الشوارع وتتقاسم الغنائم فوق برك الدماء والاشلاء البشرية واسلحة قطاع الطرق. ومن قال بان الزمام يمكن ان ينفلت الى هذا الحد وان رد الفعل سيكون عنيفا الى هذه الدرجة.. لقد انقسم الناس الى ديناصورات يملكون مليارات الدولارات وخفافيش لا تخرج الا في الليل تبحث عن كسرة خبز مطمورة في اكوام العفن. من كان يصدق بان الروس سيتحولون هكذا في غمضة عين الى مجرد طوابير بائسة من العاطلين والمدمنين والسكارى الذين يتكومون في انفاق القطارات وعلى الأرصفة وفي الحدائق العامة وتحت الجسور من كان يصدق بان روسيا التي كانت اقوى دولة في العالم او على الاقل ثاني اقوى دولة في العالم تتحول الى دولة من الدرجة العاشرة مثقلة بالديون وتصطف متسولة عند باب اميريكا تطلب المساعدات او تقرع باب البنك الدولي تستجدي مزيدا من القروض وتلح على تاجيل تسديد الديون..

ان ما يحدث هناك هو (تراجيديا) عصرية غريبة.. ما أشد صدمة الانهيار، وما اشد التمزقات التي تمسك بخناق كل روسي حيث باغتته الاحداث في تسارع يشبه ما يحدث في الاساطير واستيقظ ليجد كل شيء تحول الى كومة من الحصام بعد سبعين عاما دفع فيها الثمن غاليا وقدم ضحايا يعدون بالملايين في سبيل بناء الاشتراكية فكوفئ في نهاية الامر بهذا الخراب.

● هل فشلت اول تجربة في التاريخ لبناء الاشتراكية لانها اعتمدت على قوة بطش الدولة ولم تعتمد على إرادة الإنسان الحر الذي يختار المشاركة بقناعته الشخصية وليس بالمصادرة الكاملة للإدارة.

في مرحلة (خروتشيف) انبري ينتقد أخطاء سلفه جوزيف ستالين ويحمل عليه بشدة في البرلمان فجاءته ورقة صغيرة من بين الصفوف تقول له لماذا لم تتصد لتلك الاخطاء وقد كنت شريكا له في تلك المرحلة؟ فلوح بالورقة الصغيرة في وجه الحاضرين وهو يسأل من الذي ارسل بهذه الورقة؟ ولما لم يرد عليه احد اخذ يقول ان السبب الذي منعني من الوقوف في وجه ستالين هو نفس السبب الذي يمنع صاحب هذه الورقة من ان يفصح عن اسمه.. وبدلا من ان يعالج خروتشيف الامر بالحكمة استمر على نفس نهج اسلافه.

■ اذن فتش عن الخوف.. الارهاب.. الرعب!.

انك لن تستطيع ان تبني تجربة مهما كان يلوح فيها من وعود، بنشر الخوف والرعب بين صفوف الناس ولهذا انهارت تجربة الاتحاد السوفيتي وشيعها الناس باللعنات حتى وهم يموتون من الجوع، فالحرية الفردية وكرامة الانسان ليس كمثلها شيء.

واعتقد بان روسيا عندما تشفى من جراحها وتفيق من الصدمة وهول الانهيار المباغث وما أحدثه من تمزقات ستعي الدرس جيدا، وبالعودة الى عراقة واصالة الشعب الروسي ستتدارك قوتها المضحلة وسواء بالعودة الى الاشتراكية بعد استيعاب الدرس او بدونها فلن تستمر مجرد ماخور للفساد.

دش بارد

من حنفية أمريكية قذرة

- اسفر الرئيس الامريكى الجديد عن وجهه تماما بعد كل الهواجس التي احاطت بالعملية الانتخابية الامريكية بمهزلتها الطويلة وهزليتها التي شدت الناس عددا من الاسابيع حول العد الآلي والعد الآلي والعد اليدوي الى حسم الموقف نهائيا عن طريق الحاكم.

اسفر عن وجهه حليفا مخلصا لاسرائيل وعدوا صريحا في العداء للعرب.. فلقد عبر بوش الابن عن هذا الموقف في الكلمات التي وجهها للشعب الامريكي ولم يخرج عن كونه متزلفا صغيرا للدوائر الصهيونية صاحبة النفوذ، والذراع الطويلة داخل الولايات المتحدة، وتبعه بعد ذلك وزير خارجيته المعين كولن باول الذي اتضح انه لم يشف غليله ضد العراق على الرغم من انه كان رئيس الجيوش الامريكية في حرب الخليج والمشرف على قوات التحالف التي ارتكبت جريمة العصر بتدخلها السافر في المنطقة وشن هجومها الذي خلف ما خلف من الدمار والتخريب والقتل وتدمير المدن وتشريد المدنيين وفرض الحصار وسياسة التجويع وقتل الاطفال هذه السياسة التي ما تزال قائمة حتى اليوم على الرغم من اجماع العالم على شجبها وعلى الرغم من ان المجتمع الدولي بدأ يحطمها لانه اقتنع اخيرا بانها عمل ضد الانسانية وضد الشرعية الدولية نفسها هذه الشرعية التي تنتهك باسمها جميع القوانين والشرائع.

فأهم ما ورد في كلمة السيد «باول» قوله بانه سيعمل على تفعيل نظام العقوبات المفروض على العراق، واتفق الطرفان جورج بوش الرئيس وكولن باول وزير خارجيته على ان السلام في الشرق الاوسط مرهون بضمان امن اسرائيل وهما متفقان على نقطة واحدة مهمة وهي المحافظة على مصالح الولايات المتحدة الامريكية في منطقة الخليج!.

في الحقيقة ليس ثمة صراحة كمثل هذه الصراحة، كل ما هنالك اننا ناسف كثيرا لسيل التحليلات السياسية الكثيرة والندوات التي كانت اكثر من شعر الرأس والتكهنات التي اخذت

من وقتنا الكثير، وكان في الامر مفاجآت يخبئها السيد بوش او ربما ال غور ايضا في حالة نجاحه تبشر بالسلام والامن وانصاف العرب وردع اسرائيل وادانتها بالعدوان وممارسة العنف وانتهاك المواثيق الدولية والتنكر لكل الاتفاقيات التي ابرمت معها برعاية امريكا والدول الاوروبية.. كانت هناك سذاجة كبيرة لدى المحللين وكانت هناك سطحية لا حدود لها وكان هناك قصور واضح في تناول الواقع بموضوعية من خلال التجربة المعاصرة، وهي تجربة ظلت قائمة طوال ما يزيد خمسين عاما لم يتغير خلالها شيء في النهج الامريكي والانحياز والتحالف الذي يصل الى حد الاندماج الكامل بين الولايات المتحدة واسرائيل.

لقد كان بوش ووزير خارجيته المعين كولن باول صريحين بما فيه الكفاية منذ اليوم الاول خرجا فيه للناس بعد حسم النتائج الانتخابية وقالاها «بالفم المليان»: نحن مع اسرائيل قلبا وقالبا ونحن مع امن اسرائيل حتى ولو اقتضى الامر تدخلا مباشرا جديدا في المنطقة، ونحن سنحافظ على مصالحنا في الخليج الذي دخلناه ولن نخرج منه مرة اخرى، ونحن سنعمل على تفعيل العقوبات المفروضة على العراق!!.

وليس في الخطاب السياسي لجورج بوش الابن الرئيس او في الخطاب السياسي لوزيره كولن باول العسكري السابق الذي لا يعرف لغة غير لغة القوة، ليس في خطابهما أي لبس.. بل ربما لأول مرة يكون احد رؤساء الولايات المتحدة ووزير خارجيته صريحين الى هذه الدرجة، فالمسألة كلها التي دوخت العالم طوال هذه السنين تتلخص في نقاط عبرا عنها بصراحة مطلقة..

- احتلال الخليج وتأمين منابع النفط.
- تخريب العراق.
- تأمين اسرائيل والمحافظة على امنها ورفع درجة الاستعداد للدفاع عنها حتى وان كانت ظالمة وملطخة بدم الابرياء الى هذا الحد الذي يستفز المجتمع البشري بأسره.

هذا هو الموقف بكامله في كلمات قليلة صريحة ومركزة ولا يشوبها ادنى لبس او غموض .. شاء من شاء وكره من كره وليضرب كل العرب رؤوسهم على الحائط، ليندم المحللون والمراقبون وهواة الكلام الكثير عبر الفضائيات والمغرورون بجلساتهم الوسيمة في الندوات الفضائية.. فالامر في مجمله لم يزد عن دش اندلق على اجسادهم جميعا من حنفية امريكا القذرة!.

الهجوم الموسمي

على ذخائر التراث

• يستغني كتاب الدراما والفنانون والمشتغلون باعمال التلفزيون في الوطن العربي، يستغنون عن هوياتهم العربية طوال أحد عشر شهرا في العالم ثم يعودون إليها فجأة كلما اصبح رمضان على الأبواب.. عندما يقترب هذا الشهر الكريم يهبون على قدم وساق يقلبون صفحات الماضي ويستخرجون قصص التاريخ والتراث والحضارة الإسلامية ويستذكرون الخرافات والأساطير والحكايات التي تعلموها في صغرهم من جداتهم وأمهاتهم ثم يشرعون بهمة يحسدون عليها في كتابة المسلسلات المشوقة التي تقررها الفضائيات العربية على المشاهد من الخليج «الثائر» الى المحيط «الهادر» طوال ثلاثين يوما لا تنقص او تزيد مهما اختلفت الأقطار العربية والاسلامية حول ما اذا كان رمضان ثلاثين يوما او تسعة وعشرين.

وهجمة الكتاب والفنانين والمبدعين العرب التي تأتى مرة كل عام على التاريخ والحضارة والتراث والخرافات والاساطير لا تخلو والحق يقال من فائدة ومتعة إذ أن هذه الذخائر القديمة غنية بالمادة التي تصلح ان تكون مشروعا فنيا راقيا، وهي متى وقعت بين ايدي موهوبين مهرة، ذوي خبرة وكفاءة تصبح اعمالا كبيرة تشد الانتباه وتثير حماس الناس وتعلقهم وحرصهم على المتابعة والاستفادة. ولكن العيب الوحيد يكمن في هذا الغياب طوال العام عن منابع ومصادر هامة للفن ثم العودة اليها فجأة في شهر رمضان في شكل هجمة جماعية لا يكاد يشذ عنها إلا القليل مادام الطريق مفتوحا أمامهم وماداموا يؤمنون لانفسهم تمويلا مجزيا وسوقا تدفع بسخاء.. فهذا الموقف له عيوب ظاهرة أصبحت تتكرر باستمرار يأتي في مقدمتها التشابه والتكرار واحيانا السطحية والسذاجة في التناول واحيانا الخلط بين الأساطير والخرافات وبين القصص الحقيقية الواقعية مما قد يمهد سبيلا لتسويق الخرافة على انها تاريخ والاسطورة على انها حضارة، وحتى اذا

كانت الاسطورة او الخرافة مصدرا ملهما للفن فان اسلوب تناولها هو الذي يحدد القيمة التي تبقى كدلالة، وليست الاسطورة والخرافة مادة سهلة يمكن ان يشتغل بها كل هاو او عابر سبيل في ميدان الانتاج الدرامي .. لذلك فان الحضور فجأة والاختفاء بمجرد ان تنتهى المناسبة يصيب هذه الاعمال الكثيرة التي نشاهدها طوال شهر رمضان وننساها مع او ايام العيد ببعض القصور والعيوب كما سبق القول.. كما ان هذا الموقف الغريب يفتح امامنا باب التساؤلات الكثيرة خاصة عندما نرى سيلا غزيرا من الانتاج الدرامي طوال بقية شهور السنة يرفع راية القطعية مع كل ما رأيناه خلال شهر رمضان حيث يستورد الكتاب المشتغلون بالدراما روحا أخرى لمسلسلاتهم وخصائص لا تمت إلى مجتمعاتهم أو حتى تتشابه مع واقعهم أحيانا.. وهذا الاضطراب في ميدان الإنتاج وكتابة الأعمال المرئية لم يرسخ للأسف تقاليد واضحة ولم يخلق مدرسة عربية خاصة ولا يعبر عن شخصية مبدعة لها ملامح وتكوين وهوية.. نحن نجد لدى الشعوب الأخرى هوية حاضرة باستمرا، وأنت بمجرد أن تقع عينك على عمل من الأعمال تعرف على الفور أن هذا العمل من البلد كذا بصرف النظر عن اللغة التي تطرق أذننيك ساعة المشاهدة، فهناك نسيج واضح يدل على نفسه وهناك قسمات وملامح راسخة وثمة أسلوب ومزاج فني أصيل وهناك عناصر هي في نهاية الامر هوية الإبداع الفني الذي نراه.. أما بالنسبة لنا فكل هذه الأمور غائبة نتيجة للاضطراب والتذبذت الذي نعاني منه في كل ميادين الحياة وفي مقدمتها الإبداع والفن. والتقافز المفاجئ من موقع إلى موقع ومن موقف إلى موقف ومن انتماء إلى انتماء ومن توجه إلى آخر لا يصنع فنونا متقدمة وأصلية.. انك تستطيع أن تستفيد من كافة أسباب وأساليب التنوع داخل هويتك الخاصة، ولكنك إذ تقافزت من هوية إلى أخرى فستفقد الطريق وتخسر فرصة عريضة لإبداع أشياء باقية وخالدة. ذات رمضان شاهدنا مسلسل أخوة التراب وهو مسلسل تهيأت له كل أسباب النجاح وتوفرت له كل العناصر الفنية التي ربما لا تتوفر لمسلسل غيره ونجح المسلسل في شد اهتمام الناس وإثارة حماسهم.. شئ واحد كان ينقص هذا المسلسل هو الهوية.! حتى أن بعض الناس ظنوا انه مسلسل مكسيكي مدبلج!.

هذا هو مكمن الداء..

الفصائل الشعبية والمقاطعة

● تتحول المقاطعة للعدو فيما يبدو بالتدريج الى مقاطعة شعبية واسعة ةاذا تحقق هذا الامر وكل الدلائل تشير الى انه سيتحقق لا محالة فان هذا معناه ان الجماهير اصبحت تنتزع زمام المبادرة من الحكام والحكومات ولم تعد مجرد شاهد متفرج،

صحيح ان المقاطعة الرسمية واجب ضروري خصوصا بعد اجماع القمتين عليه وصحيح كذلك ان المقاطعة الرسمية تشمل ادوارا كثيرة تطالها المقاطعة الشعبية ولكن مع ذلك فان عودة الجماهير الى قلب الفعل السياسي معناه ان الوطن العربي عاد مرة اخرى الى التنفس بكامل رئتيه، وانه بدأ يفيق من غيبوبته التي ظل سادرا فيها لزمن طويل.

المقاطعة الشعبية تشمل كل ما يتصل بالعدو مباشرة وما يتصل بحليف العدو الرئيسي الولايات المتحدة الامريكية وتشمل المقاطعة التي بدأت تتوسع بالتدريج كافة انواع المعاملات التي تشتم منها رائحة التطبيع.

المقاطعة الشعبية كانت سلاحا ماضيا أيام الثورة الجزائرية وكانت موجعة لفرنسا واستخدام سلاح المقاطعة بطريق شتى.. طرق حددتها الخبرات النضالية الجماهيرية ووعي الشارع العربي ومضت كظهير فعال وسند للثورة التي انتصرت بسلاح المواجهة والصبر والعزيمة والايمان.. كانت جميع الفئات الاجتماعية في الوطن العربي على درجة من الوعي بحيث انها كانت عند مسئولياتها الوطنية وواجباتها واستوى في ذلك العمال والفلاحون والموظفون والتجار والمثقفون والفنانون والسياسيون ولم تكن المواجهة تسمح باستثناء أحد او بتخلف أحد.. فالردع الاجتماعي نفسه كان كفيلا باتخاذ موقف «تعزير» يردع أي منافق يخون الاجماع الشعبي او يتحايل عليه.. ولذلك يصح ان نقول بان الثورة الجزائرية وحدتنا شعبيا وسلكتنا في موقف واحد ايام كانت تواجه العدو وتشتبك معه مباشرة في المدن والقرى والجبال وتلتحم معه كل ساعة من ساعات الليل والنهار.

عاد الآن الشعور بضرورة هذه الوحدة الشعبية ليشمل الوطن العربي بسبب انتفاضة

الاقصى وهذه المواجهات القوية مع العدو وهذا الموقف المتفجر الذي يلتهب في كل لحظة منذ ما يزيد عن شهرين.

وهناك على مستوى الوطن العربي التحامات شعبية بين الفئات كما لو كان التاريخ يعيد نفسه ويضع أمامنا صورة ذلك الالتحام في الخمسينات لا في ايام الثورة الجزائرية ولكن بعدها وقبلها وفي مراحل عديدة كان الشعب العربي معبرا عن وحدة شعبية شاملة منذ ايام الطليان في ليبيا ومنذ ايام الفرنسيين في الجزائر وتونس أي منذ أيام الاوراس وبنزرت ومنذ ايام السويس وبور سعيد والعدوان الثلاثي وحرب حزيران وهكذا في تاريخ طويل من التلاحم الشعبي العربي لعل ملامحه تعود اليوم بل ها هي تعود بالفعل.

ثمة يقظة ونفرة شملت علماءنا الاجلاء الذين افتوا بضرورة هذه المقاطعة بل وافتوا بضرورة اعلان الجهاد وصرنا نسمع صوت الشيخ يوسف القرضاوي من وسط قطر التي تصر على بقاء المكتب التجاري اليهودي وهو يرفع صوته محرضا وداعيا الى الجهاد والمقاطعة وصرنا نسمع صوت مفتي الديار المصرية وصوت شيخ الجامع الازهر وهي مؤسسات وافراد لهم تأثيرهم الشعبي القوي وصرنا نسمع عن تنظيم نقابي في الاردن يوزع قوائم بأسماء البضائع والشركات التي يجب مقاطعتها وأسماء المنافقين الذين يتزعمون الدعوة الى التطبيع وصرنا نسمع عن ناشطين يدعون الى المقاطعة بصيغ مختلفة وهذه كلها مواقف تجاوزت الفعل الحكومي بل وضعت الحكومات امام الامر الواقع وفي موقف حرج. إذن الامر تتطور الى مستويات ايجابية وشعبية وستتطور اكثر نحو استعادة الروح التي خلنا ذات مرة انها فرت من جسد الوطن الكبير.

مجرد أمنية

• ليس بيني وبين الأرقام مودة على الإطلاق.. فعندما كنت صغيراً كنت دائما ارسب في مادة الحساب.. وحتى هذه اللحظة أخطئ في تاريخ ميلادي ورقم بطاقتي الشخصية ورقم هاتف منزلي.. وإذا حاولت أن استخدام الأرقام للضرورة القصوى أجد نفسي أتحايل على نفسي واخترع أي مبرر للهروب من هذه المحاولة ثم اشرع في التأجيل والتسويف الى أن يضيع الوقت وتضيع فرصة الحاجة الى استخدام الأرقام.

هذا الأمر يضايقني كثيرا واعتبره عقدة شخصية لا يجوز الحديث عنها أو الإفضاء بها للآخرين، الى أن اكتشفت أنني لست وحدي من يعاني من هذه العقدة الوبيلة .. فثمة أشخاص على مستوى هائل من المسؤولية السياسية والأدبية والاجتماعية والعلمية يعانون من نفس هذه العقدة اللعينة.. فتواضعت عقدتي بالمقارنة الى عقدتهم.. وإذا كانت عقدة الجفوة أو عدم المودة مع الأرقام فضلا عن ذلك تسكن في عقول رؤساء الدول مثلا فماذا تكون عقدتي أنا الإنسان البسيط الذي يساوي صفرا بالمقارنة معهم؟!.

حتما ستكون إشارة عابرة في الحياة لا معنى لها.. ثم أن الكاتب مجبر على التوقف عند الأرقام إما لأنها مفزعة أو لأن لها دلالة وهو في هذه الحالة «يدوس» على قلبه ويتأملها جيدا ويصبح بالتالي مجبرا على البوح بها للآخرين.

• خذ مثلا هذه الأرقام المهولة، وأنا انقلها مجرد نقل من إحصائية علمية.

تتمركز الثروة الآن في يد قلة قليلة من الدول الغنية.. لا بل تتمركز الثروة نفسها في تلك الدول في ايدي قلة قليلة من الناس .. ثروة ثلاثة أمريكيين تعادل أو تزيد عن ثروة 48 دولة من دول العالم الفقيرة.. وثروة 48 أمريكيا تزيد عن ثروة مليار فاصلة ثلاثة إنسان في العالم (1، 3 مليار)!!.

• ناتج هذا الثراء الفاحش هو حصيلة الجباية الأمريكية من الاستثمارات الموزعة في

مختلف أنحاء الكرة الأرضية وبالذات لدى الدول التي تعاني من الجوع والفقر.

● فإذا قلنا بأن العرب والمسلمين هم خمس سكان الكرة الأرضية وهم أصحابها جغرافيا وأهل ثرواتها الطبيعية ومواردها التي تدر كل هذه العوائد على القلة القليلة من الدول الغنية، والقلة القليلة من الأثرياء وهم جميعاً «أمريكيون».. فلماذا لا ينتبه السادة الرؤساء.. أصحاب الجلالة والفخامة الى أهمية الأرقام.. والنظر في إمكانية استخدامها للضغط من اجل قضية فلسطين والمسجد الأقصى والقدس؟!.

● هناك عقدة بيننا وبين الأرقام.. فنحن لا نعرف قراءة الأرقام جيدا .. أو أننا لا نحاول ذلك.. نحن نعترف بعقدتنا كبشر عاديين ونخجل منها، لكن الأمر يختلف مع أسيادنا الرؤساء أصحاب الفخامة والجلالة.. أننا نطلب منهم بتواضع جم أن يقرأوا الأرقام وان يستخدموها.

مهمة النفس الطويل

• رغم كل القراءات حول القارة الافريقية فى تاريخها العام وتاريخها السياسي وفى تراثها وحضارتها وثرواتها الهائلة فهي فى اعتقادي لا تزال قارة غامضة بالنسبة لنا، والسبب أن القراءة وحدها غير كافية لفهم هذه القارة الهائلة فى كل شئ.. فالكتابات ليست دائما ضافية كما أنها من جانب آخر قد لا تكون أمينة وهكذا فان الغموض يظل يكتنفها من كل جانب خصوصا عندما نرى هذه الصراعات الدامية بين أقطارها وهذه الحروب الأهلية التي تحصد الآف الأرواح وهذه الانقلابات التي تدبر فى الخفاء ويفاجأ بها الناس تملأ أنباؤها الدنيا دون أن تكون هناك معرفة حقيقية متاحة لأسباب هذه الزعازع وهذا الاضطراب.. إنها قارة ما تزال مسرحا لكثير من الحركات الغامضة والأحداث الجسيمة التي تضر بالاستقرار وتزعزعه في غمضة عين..

ونحن على الرغم من كل ذلك لم نستطع حتى الآن ان نقيم جسورا حقيقية مع هذه القارة.. إننا نتعاطف مع قضاياها ونكتفي بالتعبير عن هذا التعاطف ونعمل كل ما في وسعنا من أجل تحسين العلاقات الدبلوماسية معها ويسود عندنا الاعتقاد بأن هذا العمل الناجح يعطينا الحق فى الادعاء بأننا نعرف كل شئ عن أفريقيا وهي معنا ونحن معها، وقد يكون هذا صحيحا ولكنه فى نفس الوقت موقف لا يتجاوز القشرة الخارجية السطحية التى لا تتجاوز «الوضع» المؤقت الذي سرعان ما يتعرض للانهيار أمام الأحداث التي تدور فى العمق أبعد من القشرة الخارجية العابرة..

وفى الحق فان هذا الموقف ظل هكذا يراوح فى مكانه منذ عقود من الزمان، منذ المد الأفريقي فى بداية الستينات وتفتح القارة على الخارج ونشوء حركات التحرير فوق ربوعها.. أيامها انتبهنا الى ان هناك قارة تعج بالحركات السياسية التي تحارب الاستعمار وان ثمة شعوبا لها تطلعات مشروعة نحو فتح آفاق التضامن، والتفت زعماء الثورة الوطنية فى الوطن العربي الى هذا الواقع وحاولوا ان يمدوا جسورا نحو إفريقيا، وبرغم الاستعداد وحسن النية فان المحاولات ظلت محدودة وظلعت خاضعة للمد والجزر والجمود والحركة وتركت أبواب كثيرة تسلل منها آحرون، وترك فراغ هائل كان يمكن ان يملأه هؤلاء الزعماء

ولكنهم لم يفعلوا، ولم تتقدم علاقاتنا بالقارة أبعد من القشرة الخارجية.

لم تقم مؤسسات ثقافية او اجتماعية او سياسية او اقتصادية حقيقية تهدف الى معرفة أفريقيا من الداخل ومعرفتها في العمق.. ولو أن هذه المؤسسات قامت منذ ذلك التاريخ لكان الوضع الآن مختلفا كثيرة ولأصبحت الجسور التي حاولنا مدها مع بداية الستينات وضعا متبلورا الى ما هو شديد الاندماج في الحياة الافريقية ولكان من الممكن ان يزول كثير من الغموض حول هذا الكون العجيب الذي يطفح الآن بكثير من الاحداث الجسام..

نحن نستثنى بالطبع بعض المحاولات الجادة ولكنها محاولات ظلت محدودة وهي لم تكن بين يدي كفاءات مؤمنة بضرورة الانفتاح على هذه القارة، فحتى المشروعات المحدودة كان يقوم عليها موظفون يدينون لسلطان الروتين ولا يتحركون من خلال رسالة انسانية واضحة.. فضلا عن ان تلك المشروعات نفسها كانت مجرد مبادرات غير مدروسة لا تتقيد ببرنامج ولا تعمل من خلال تخطيط علمي ينظر الى المستقبل البعيد.. كما أنها لم تكن مشروعات تقوم على تضامن موحد بين الاقطار العربية بمعنى ان يكون نابعا من خلال قناعة مشتركة بضرورة الاندماج فى هذه القارة التي هي أقرب القارات الينا واشدها تشابها معنا في التاريخ والحضارة والتراث والاقتصاد والسياسة وغير ذلك من المكونات الاصلية .. كان كل قطر يحاول ان يفعل شيئا داخل القارة، ولذلك إنصراف العمل الى مشروعات مرتجلة تركزت فى تقديم مساعدات طبية او مساعدة اجتماعية او مساعدة دينية اخذت للاسف فى اغلب الاحيان صيغة (التبشير) وكل هذه المشروعات تم تبديجها بعقلية محدودة التفكير فكان المواطن الافريقي ينظر اليها على أنها مجرد (هبات) تأتي من دول غنية حباها الله ثروة طائلة فقدمت له الفئات من بعض ما لديها وإنتهى الامر عند هذا الحد. وأخشى ان اقول إن هذا الموقف جاء بنتائج معاكسة تماما لما هو مطلوب.

وحتى يزول الغموض القائم في أذهاننا حول هذه القارة تاريخا وحضارة وثقافة وتراث فالامر يحتاج الى خطة طويلة المدى تنهض بها مؤسسات حقيقية واعية ومتفهمة ومؤمنة برسالة انسانية عظيمة يحتاج تحقيقها الى جهد وصبر وتضحية.. أهم شئ ان تنطلق هذه المؤسسات من أرضية صلبة تقوم على التفاهم والقناعة المشتركة بأهميتها وصولا الى معرفة متبادلة تكاملية تغوص الى الاعماق ولا تكتفي بالوقوف عند السطح!.

- **إنها رسالة النفس الطويل..**

قوافل التمرد على الوهم..

■ **الخروج من عباءة الهيمنة الأمريكية ليس دائما طريقا نحو الجوع.**

● وهذا الموقف لا يحتاج إلا الى بعض الشجاعة والثقة بالنفس.. صحيح أن امريكا تنفرد فى الوقت الراهن (بزعامة) العالم، وصحيح أنها اصبحت القوة الوحيدة التي تمتلك صناعة القرار الدولي بعد اختلال التوازن بخروج الاتحاد السوفيتى من حلبة الصراع ولكن مع ذلك فان التمرد على الهيمنة الامريكية المباشرة ليس دائما مغامرة من اجل الموت!.

نصف اسباب الخضوع للهيمنة الامريكية فى الخوف من هذا البعبع الذى يملأ الدنيا جعجعة، والنصف الآخر يكمن في التصور بأن الحاجة إلى المساعدات الامريكية أقوى من أية إرادة، وأنه بدون هذه المساعدات ستموت الشعوب من عضة الجوع.

وفى التصور الأول فان الخوف مجرد وهم.. فأمريكا غير قادرة على إفناء العالم حتى وإن إنفردت بالقوة المطلقة وأصبح في إمكانها إن تحول الكرة الارضية الى رماد بمجرد الضغط على الازرار الالكترونية التي تتحكم فى ترسانة الاسلحة الرهيبة التي تكدسها في مخازن الدمار.. إنها تهدد باستعمال هذه الاسلحة من حين لآخر، ولكنها إذا أقتربت بالفعل من تلك الازرار سوف تعمل الف حساب وحساب، وهي ستتراجع فى اللحظة الاخيرة لأنها ستحتاج على الاقل لمخلوقات تمارس عليها غرورها، وهي ستكتشف انها من المستحيل أن تعيش فى كون بلا بشر وأن فكرة البقاء وحدها فوق الكوكب الارضي ستقتلها من الرعب!.

فلقد ثبت من خلال الاف الدراسات الاقتصادية العلمية المبنية على الحقائق والارقام والاحصائيات الدقيقة أن امريكا تأحذ بالشمال ما تعطيه باليمين، وأن الدول التي تتلقى هذه المساعدات مقابل إمتيازات باهضة تتنازل عليها، لا ينالها من مجل المساعدات الا نصيب الفتاة الطفيف أما جل ما يقدم لها فيذهب الى جيوب الامريكيين.. فالامريكيون

يلهثون خلف المساعدات التي تقدمها بلادهم ويلاحقونها إينما تذهب على هيئة خبراء ومراقبين يتقاضون مرتبات خيالية ويعيشون حياة البذخ مقابل لا شىء ويستقطع ما يحصلون عليه مباشرة من هذه المساعدات التعيسة، أما المبالغ الباقية فتوزع على بنود وهمية، دراسات حقلية وميدانية ظاهرها دراسة احوال البلد المتلقي لمساعدته على النمو وباطنها خدمة الاغراض المخابراتيه الخسيسة، ومشروعات استهلاكية لا تفيد التنمية فى شىء وإنما تعرقل نمو الاقتصاد الوطني وتضعه فى دوامة إرتباكات لا حصر لها، تأسيس بنى تحتية هشة تكون الى أبد الآبدين مربوطة بالاقتصاد الامريكى وتحت رحمته وهي غالبا لا تخدم إلا اؤلئك الذين كانوا وراء تأسيسها وفي النهاية تحويل البلد الذي يتلقى المساعدة الى مجرد سوق استهلاكية للبضائع الامريكية وفى هذه الحالة يكون المستفيد الوحيد هو التاجر الامريكى الذي تعود اليه الارباح أضعافا مضاعفة.

وأمام كل ذلك فان البقاء داخل العباءة الامريكية الفضفاضة لا يجر إلا التخلف ولا يساعد على الخروج الى ضوء الشمس.

فاذا كان الخوف من بطش أمريكا مجرد وهم، واذا كان البقاء فى ظل عبودية المساعدات مخافة الموت من الجوع مجرد خدعة صنعتها الدعاية فما الذى يجعل بلدان العالم الثالث او أغلبها تستمر فى الاستكانة الى هذا الوضع المشين؟

ولدى استرجاع قائمة الانظمة الثورية والوطنية التى انتبهت مبكرا الى هذه الحقائق وقالت «لا» للتبعية سنجد أن الوهم الامريكى على الرغم من سيف الزمن إنهيار تماما على بوابات صمودها وتحطم .. فهل يكون فى ذلك درس للذين لم ياحقوا بقافلة التمرد؟

حق القوى الشعبية فى الرد

- هل كان لابد ان يقوم حزب الله بأسر ثلاثة من الجنود الاسرائيليين حتى يتحرك الاتحاد الاوروبي بهذا الحماس من أجل تهدئة الموقف المتفجر بين اليهود الصهاينة والفلسطينيين.. هل كانت الدبلوماسية نائمة رغم كل هذا الدم الذى يهدر.. رغم النزيف والحرائق والوحشية والنازية الجديدة التي تستخدم القوة بطريقة عمياء فلم تفلح فى ايقاظها سوى هذه الانباء التى تناقلها العالم في سرعة البرق عن هؤلاء الاسرى الثلاثة الذين يبدو أن حياتهم اغلى عشرات المرات من حياة الاطفال الفلسطينيين الابرياء الذين حصدهم رصاص الغدر وهم فى طريقهم الى مدارسهم ذات صباح من ايام انتفاضة الاقصى؟

ما هذا النشاط وهذه الكثافة وهذا الفزع الذي وهب فجأة يطالب بتهدئة الموقف ويطالب باطلاق سراح ثلاثة يهود، ثلاثة فقط لا غير ما زالوا يتمتعون بالحياة بين يدي حزب الله المسلم الذي يتعامل مع الاسير بشرف ويرعى كرامته كانسان ويحافظ على حياته وفق شروط الاسر التي حددها الدين الحنيف، هل كان لابد أن ينتظر العالم حتى هذه اللحظة ليستيقظ ويصحو ضميره ويرفع العصابة عن عينيه ثم يشرع فى الهرولة من مكان الى مكان ليطمئن على ان هؤلاء الثلاثة ما يزالون احياء ولن يمهسهم سوء؟

- هل بلغت السخرية في السياسة الدولية الى حد الوقوع فى هذا الاضطراب البشع فى الموازين وتقدير الحوادث وتقييم المواقف والتمييز العنصري بين البشر؟

■ **ما الذي يجري فى العالم؟**

هذا العالم الذي انقسم بحق الى ساسة تعساء وجماهير لها ضمير وعقل.. الساسة يهرولون خلف الثلاثة الواقعين في الأسر ويديرون ظهورهم لالاف الضحايا بين جريح وقتيل وسجين ومشرد ومفقود، وجماهير تتظاهر فى كل مكان مطالبة بحقن الدم الفلسطيني وايقاف قطار الموت وردع العصابات الصهيونية الشريرة عن ممارسة البغي والغطرسة

وحصد الارواح.. كيف يغيب عقل الساسة ويصابون بالعمى فلا يرون الحقيقة الساطعة بينما شعوبهم تراها وتصرخ بها وتطالبهم بوقفة انصاف؟

لقد اكدت حوادث الاقصى أن هذا الانفصال الحاد بين الشعوب والزعماء السياسيين هو مرض العصر الذي يحتاج الى علاج عاجل وفعال وهو مرض لا يقتصر خطره على البلدان المتخلفة ولكنه يمتد الى اكثر البلدان تقدما وتمدنا وادعاء بالحرية والديمقراطية.

كل الشعوب الاوروبية تعلن صوتها مدويا الى جانب الفلسطينيين بينما كل الساسة الاوروبيين يقعون فى المغالطة وينساقون وراء التضليل ولا يخجلون رغم حمامات الدم من مطالبة السلطة الفلسطينية وياسر عرفات باستعمال نفوذه من اجل وقف الانتفاضة والسيطرة على الجماهير التي خرجت تدافع عن نفسها ضد الاعتداء وتدفع شبح الموت الذي يحوم فى كل زاوية من الارض الفلسطينية، هل تعود مرة اخرى الى التبريرات القديمة بسيطرة الصهيونية ونفوذها على دوائر صنع القرار وشرائها لضمائر اصحاب السلطان في كل العواصم الاوروبية .. والا فبماذا نفسر هذه المواقف السياسية العنصرية والمنحازة والتى تناصر الظلم جهارا وتعلن عداءها للعرب؟

لقد تحركوا جميعا دفعة واحدة ابتداء من الامين العام للأمم المتحدة الى امين عام الاتحاد الاوروبي الى رئيس الولايات المتحدة لاجبار اسرائيل على الكف عن هذه الابادة الجماعية التي تمارسها ضد الفلسطينيين ولكن لتدمغ الضحايا بالطيش والتهور وعدم القدرة على ضبط النفس، وهذا هو العجب بعينه.. هذه هى الحالة السوريالية التي لا يجد لها العقل تفسيرا.

لقد خذلت الولايات المتحدة المجتمع الدولي كله حين استعملت حق النقض فى وجه قرار متواضع بادانة اسرائيل فى هذه العمليات الوحشية، وخذلت الامم المتحدة من ناحيتها كل هذا الاحتجاج العالمي الواسع حين رضخت للارادة الامريكية وحين جاء قرارها يحمل أغرب صيغة سمعناها عبر التاريخ.

مطالبة اسرائيل بعدم (الافراط) فى استعمال القوة!!

أي ان القرار يعطيها حق استعمال القوة ولكن.. ليس بافراط!!

● **عالم عجيب..**

■ **واظن ان الرد الوحيد على عنصرية السياسية هو الاعتراف بحق القوى الشعبية فى الرد.**

الكلمة الفاصلة يقولها الحجر

- كان اعلان الحرب الشاملة التي تشنها اسرائيل على جميع المدن الفلسطينية مستخدمة الدبابات والصواريخ وكافة وحدات الجيش فى هذه المناطق، وكان الارواح التي حصدتها خلال اربعة او خمسة ايام والدمار الذي احدثته في الآمنين العزل الذين روعهم الموت في بيوتهم وكأن الحرائق المشتعلة في كل مكان، كان كل هذا لا يكفي دليلا على سقوط اوسلو حتى يحتاج الامر الى سؤال:

- **هل انتهت اوسلو الذي يردده الصحفيون والاذاعات المختلفة.**

اسرائيل التي قام وجودها على خديعة كبرى هل خدعت المقاومة الفلسطينية الى هذا الحد.. وهل كان السيناريو الذي جر ياسر عرفات وكل الدائرين في فلكه الى الصفة الغربية وهل كانت المحادثات المشتركة والمؤتمرات والمواثيق والعهود ورعاة السلام والحشود الاوروبية التي جلست في مكان الشهود وهل كان كامب ديفيد الثانية وشرم الشيخ ووادي عربة والاسماء التى نتذكرها والتي لا نتذكرها هل كان ذلك اللعب بالاعصاب والتوترات والمشاجرات الكلامية هل كان كل ذلك مجرد سيناريو ينتظر اللحظة المناسبة ليصل الى الذروة فيتفجر الموقف الذي تستطيع من خلاله وسائل الدمار ان تحصد ارواح الفلسطينيين في مجزرة جماعية لا تفرق بين احد لا بين الطفل والمرأة او بين المقاتل او رجل الامن الفلسطيني، لا بين رموز السلطة او اصحاب البيوت التى تتعرض للهدم كل يوم لا بين المسالم الذي يلقط رزقه فى الشوارع الخلفية ولا بين من يحمل في يده حجر..

ها هي الانتفاضة تجدد يقينها بان الارض لن تحرر الا بالمقاومة وان العدو الصهيوني لا يحفظ عهدا ولا يرعى ذمة وان السلام عادة يكون بعد خوض المعركة الى نهايتها وهو لا يأتي على مائدة المفاوضات مع هكذا افاقين وشذاذ افاق مرتزقة جاءوا من كل بقاع العالم بدون سابق معرفة فيما بينهم الا ما تصنعه دعايات الاكاذيب وتزويرات التاريخ، ولقد كانت الانتفاضة التي ركنت الى الانتظار تلتقط انفاسها على معرفة مسبقة بان

كل ما حدث منذ اوسلو ما هو الا خدعة والآن تكشفت الخدعة عن ذئب فى ثياب حمل حاول ان يضلل العالم وان يكذب عليه.. والآن نفذ صبرها بعد ان سقط اول الشهداء على مرأى ومسمع كل الذين صنعوا من انفسهم شهودا ورعاة فلم يحركوا ساكنا فانطلق ابناء فلسطين يردون الاهانة ويمارسون حقهم فى الدفاع عن انفسهم وهم الآن فى مواجهة الموت فليخسأ الجبناء.

الآن لا يفرق الرصاص بين أبناء فلسطين وما عليهم الا أن يقفوا جبهة واحدة وليؤجلوا خلافاتهم، ان المواجهة تحتاج الى جبهة غير متصدعة.. وعليهم ان يغضوا الطرف عن العويل الذى يطلقه باراك وهو يستنجد بياسر عرفات ويطلب منه ان يتدخل لتهدئة الموقف.. الآن تتصاعد المغالطات من جانبهم وها هم يحاولون ان يوهموا العالم بان ابناء فلسطين هم السبب فى تصعيد المواجهة والآن فقط تحركت حمية بيل كلينتون فيجمع المسؤولين على الامن، أمن ثلاثي تكون امريكا طرفا فيه والفلسطينيون طرفا فيه والإسرائيليون طرفا فيه واذا انطلت هذه الحيلة على الجانب الفلسطينى الرسمي مثلما انطلت عليه كل الحيل السابقة فستتدخل قوات الامن الامريكية ولكن الى جانب اسرائيل وستنتزع الشرعية فى مباشرة ضرب ابناء الشعب الفلسطينى، فلو كان الامن يهم رئيس الولايات المتحدة لوجد الف وسيلة ووسيلة قبل الآن لمنه الاستهتار الصهيونى والعجرفة الصهيونية والانتهاكات العديدة التى مارسوها رغم مواثيق اتفاقيات ما يسمى بالسلام .. لكنه ظل يتفرج من منازلهم بينما العبث يأخذ حجم الممارسة فاستمر بناء المستوطنات واستمر ضرب العزل في الشوارع واستمر تمزيق القرار 242 والقائه في وجه الشرعية واستمر التهام القدس فى مشروعات مثل الاحاجي تحت الارض وفوق الارض وطرق آمنة وهياكل موهومة وجدران للبكاء واخرى للتبول.. وعندما انفجر الموقف كان اول بيان هو دعوة رئيس السلطة الفلسطينية الى تهدئة الموقف.. ثم تفتقت العبقرية الماكرة على مشروع الامن الثلاثي الذي يعطي مبررا للتدخل الى جانب العدو والسيطرة على المواقع ممارسة مزيد من الطعن والقتل والاعتقال بحق ابناء فلسطين، فاين كان رئيس الدول الراعية لعملية السلام طوال كل هذا الوقت الذي هدرت فيه الحقوق واحتقرت فيه الاتفاقيات؟

ابناء فلسطين جميعا مستهدفون الآن بالتصفية ولذلك عليهم ان يموتوا واقفين، وهم على كل حال ليسوا في حاجة الى نصيحة من احد، انهم فوق التصريحات الناعمة التى

تصدر من خلف الجدران المبطنة بالقطيفة، وليسوا فى حاجة الى مزيد من المداهنة والنفاق وطبخ الموازنات السياسة التي تصدر عن مصالح بعيدة عن جوهر قضيتهم ولبها حيث الارض لا تتحرر الا بالدم والشهادة وحيث السلام لا يجي الا في لحظة اجبار العدو على الالتزام به بقوة الضغط وليس بسكب دموع المذلة.. لقد رأينا انه كلما تسول الجانب الفلسطيني هذا السلام بالمسكنة كلما امعن الصهاينة فى مزيد من الاحتقار، وامام هذا الوضع فلا اختيار الا اختيار الدم والموت فى سبيل الشرف..

تفليس المنتجين

● في امكان امريكا ان تهبط بسعر برميل النفط الى دولار واحد اذا ارادت خلال بضعة اسابيع وذلك باستخدام الاحتياطى المخزون لديها والذي يفوق عشرات المرات الثلاثين مليون برميل التى ستستخدمها الان لتحطيم السوق زهي كميات كانت امريكا كما هو معروف جيدا قد استنزفها من الدول المنتجة ايام الوفرة فى السوق وزهد الاسعار وكان المنتجون ايامئذ يتفرجون وهم يستمتعون بسخونة اوراق البنتكتوت التي في جيوبهم ويضحكون فى بلاهة، امريكا تستطيع ان تفعل ذلك خلال بضعة اسابيع فهل فى امكان دول النفط ان تعيش يوما واحدا بدون نفط؟

■ **انا اشك فى ذلك كثيرا.**

فالدول النفطية فى الحقيقة لم تؤسس لبرنامج استثماري بعيد المدى تحسبا للايام النفطية السوداءالتي كانت جميع الدلائل ومن خلال ازمات كثيرة تخللت عملية الانتاج تشير الى احتمال وقوعها بمجرد ان تستخدم امريكا ذكاءها الالكتروني الذي تتعامل به نعنا، وهي لم تنفق كما ينبغي على برامج التنمية الداخلية لأنها لغبائها تتصور ان التنمية الداخلية ترف زائد يستفيد منه الافراد اكثر مما تستفيد منه الدولة ناسية ان استفادة الافراد هي فى الحقيقة فائدة للاقتصاد الوطني فى النهاية وفائدة فى نواح كثيرة تعود بالخير والامن والاستقرار على النظام نفسه، والدول النفطية تفرح كثيرا بارتفاع ارصدتها المجمدة فى البنود وهي لا تتصور كما ينبغى ان هذا الورق يمكن ان يتحول فى لحظة الى رماد اذا ارادت امريكا ان تتلاعب بقيمة الدولار ثم ان الورق حتى ولو كان اخضرا يحمل صورة جورج واشنطن فهو لا يصنع وطنا قادرا على الصمود والتقدم ومواجهة الازمات، والدول النفطية تبذر اموالها على القشور وتترك اللب وتتعلق باحلام العصافير وتترك عوامل بناء قوة النسور.. تنفق على المظاهر والفخفخة ولا تنفق على المشاريع التى تصنع التحول وتبني الاقتصاد الوطني فى الاتجاه الذى يوفر له عناصر الاعتماد على النفس لسنوات طويلة.

والدول النفطية مركوبة بالشكوك والهواجس جراء هذه الثروة التى تمسك بها على طريقة صاحب الزيت!!

فهي تعزل كفاءاتها الوطنية التى تعرف كيف تدير الاستثمار وكيف تؤسس للاقتصاد وتطرح شعارا عقيما سفيها اسمه (الكفاءة او الولاء) فتفضل الولاء اولا ومع الزمن ثبت ان هؤلاء الذين يرفعون شعار الولاء هم مجرد افاقين وانتهازيين ولصوص وقوى مخربة مدسوسة على الانظمة تنهش اللحم وترمى العظم وتعمل على تهريب الاموال وتزيين المشاريع العقيمة التي لا فائدة منها سوى جني العملات الطائلة وتكديس الارصدة الشخصية، وفي هذا التصحر الفكري سيطرت على ثروات النفط الطائلة العائلات والقبائل والازلام الذين لا يحملون فى دواخل نفوسهم ذرة واحدة من الشرف او الوفاء للوطن ولا يهمهم اذا تحول الوطن الى خرابة او بقي عاجزا فى مستوى حياة القرون الوسطى فاذا جاءت الازمات الكبرى وجدت الدول التى تملك هذه الثروة والتي تخيلت انها قادرة على قهر الزمن، وجدت نفسها على قارعة الطريق تتفرج ببلاهة وغباء شديد على احلامها وهي تنهار وشعوبها وهي تجوع ومشروعاتها مقاومة العطش.

● فهل يستفيد اثرياء النفط من هذه الدروس جيدا هل يراجعون حجم استثماراتهم وحجم انفاقهم على مشروعات التنمية هل يعيدون قراءة خططهم التي اعدوها لمواجهة المستقبل هذا اذا كانت لهم اساسا خطط من هذا القبيل؟

الواقع ان خصومنا يعاملوننا بالذكاء الالكتروني، بعقلية الحاسوب والاجهزة المتقدمة والدقيقة التي تضبط حسابات كل شيىء واحتمالات كل شىء ةتضبط مدى تحملنا لملاعباتهم لنا وتتصرف بعد ذلك وفق هذه المعطيات اما نحن فنفكر بعقلية الصحراء التي تعرف جيدا من اين تأتي رياح القبلى ولا تعرف من ايت تأتي عواصف الخصوم المتربصين.

ولا عيب في ان يعترف هؤلاء الاثرياء بعقم تفكيرهم في الماضي ولكن العيب الاكبر يمكن فى عدم استفادتهم من التجربة والتعلم منها.. التجربة هاهي ساخنة امام اعينهم والذكي هو الذي يتخذ منها زادا يعينه على تبصر طريق الغد.

■ هذا الغد الذي لن يكون مضمونا الا بانفاق كل قرش على التنمية والاستثمار فى مجالاتها الجادة التي ترسخ قواعد البنى المستقبلية التي تصمد عشرات السنين في وجه الزلازل العنيفة.

الكتابة حتى النفس الأخير

• منذ ايام رحل الشاعر الصديق على الفزاني وفاجأنا نعيه من المستشفى الذي كان يعالج فيه خارج الوطن فخيمت ساحابة من الحزن على اصدقائه ومحبيه فقد كان رحيله مبكرا ولم تكن له مقدمات داهمة المرض فجأة ولم يمهله طويلا ورحل ما نزال نقرأ له يومياته التي واصل كتابتها ربما حتى اليوم الاخير قبل ان يغيبه الموت.

دأب فى الفترة الاخيرة على الكتابة بغزارة وكان يسجل سيرته الذاتية بكثير من التفاصيل التي صادفته فى الحياة داخل وخارج الوطن فقرأنا في هذه الصفحات جوانب من حياة حافلة بالمعاناة وغنية بالمفارقات وتعرفنا فيها على مغامراته عبر الحياة فاكتشفنا انه كان يخوض تجاربه بجسارة ويعاند رغم الصعوبات وكان يتحدى او ربما كان يستهين بالمصاعب من اجل اقتناص الخبرة وتنمية المعرفة وتوسيع الثقافة ولعل هذه التجربة العريضة التي تابعناها من خلال سيرته وذكرياته ساهمت الى حد كبير في تكوين ذاتي وتشكيل خصائص تنعكس فى شعره الذى تمثل فى حصاد وافر من الدواوين المطبوعة والتى جمعت اغلب انتاجه، وهذه احدى ميزات الشاعر الراحل فلقد كان متمرسا بعملية النشر بكل ظروفها المعقدة وكان له اسلوبه فى التغلب عليها بشكل ربما لا يقدر عليه الكثيرون من ابناء جيله وبالرجوع الى عدد دواوينه المنشورة والاعمال الكاملةلا تعتقد ان لديه شيئا يذكر لم ينشر الا اذا كان مخطوطا جاهزا ينتظر اللحظة التى يخرج فيها للوجود بدون الحاجة الى جهد غيره ليلهث وراء جمع هذا الانتاج، وعلى عكس ما قد يبدو فى الظاهر ويعطي انطباعا سريعا بانه شاعر فوضوي لا يكترث كثيرا بالاشياء فهو منظم فى عملية النشر وتنسيق اعماله لتكون جاهزة دائما للطباعة.

لقد كان اخر لقاء لي بالشاعر الراحل منذ سنتين تقريبا حيث كنا معا فى رحلة ثقافية الى قطر، وفى قطر تألق وشارك فى امسية شعرية فى الجامعة امام حشد من الطلاب العرب من جنسيات متعددة الى جانب الطلبة القطريين وقضينا اياما جميلة فى الدوحة

اضفى عليها متعة خاصة ما احاطنا به الاخوة القطريون من ترحيب وما حصنا به الشاعر المصري المعروف «حسن توفيق» الذي يعمل بالقسم الثقافي بصحيفة (الراية) القطرية من اعزاز، وكانت تربط بينه وبين الشاعر الراحل على الفزاني صداقة قديمة ومودة بالغة فكانت اياما قليلة خاطفة اظهر فيها على الفزاني حبا دافقا للحياة واقبالا على متعها بكل حماس وكان لا ينسى ابدا حتى وهو فى غمرة هذا الاندفاع انشغاله بقضايا الثقافة، فما يكاد المجلس يلتئم ويبدأ الحديث يتشعب فى شعاب شتى حتى تجد على الفزاني يفاجئك بطرح احدى قضايا الثقافة الشائكة وهكذا سرعان ما تجد نفسك مندمجا فى هموم الثقافة وقضاياها وتضيق احيانا فى اوقات التسلية من هذه الجدية التي يفرضها عليك ولكنك تعيش متعة الحوار والجدل وتبادل الاراء فيمتد الحدث ساعات طويلة وانت لا تشعر بمرور الزمن الذى كنت تخاله سيمضى في اللهو في امور تافهة واذا بالجلسة مع على الفزانى تتحول دائما الى خلاف مثمر او اتفاق يضيف الى رصيد الحاضرين شيئا مجديا..

ولم اشعر ان الفزاني فى تلك الرحلة كان يعاني من شيء، فقد كان موفور الصحة يتميز بالحيوية والنشاط فلا يشكو ولا يتخلف عن مواعيد الفعاليات الادبية التي جئنا من اجلها ولا حفلات المجاملة التي اقيمت لنا، كان له حضوره المتميز والمتدفق مناكفا ومشاكسا عن طيبة نفس وروح مرحلة ونكتة حاضرة، لا تخونه البديهة كلما رأى شيئا يستحق التعليق وخاصة الاشياء الطريقة التي لا تخلو منها رحلة على هذا النحو الجماعي بالاضافة الى انها كانت رحلة بين الجو والبحر والبر.. فهو جاء من بنغازي الى طرابلس برا وانضم الينا فى طرابلس حيث اخذنا الباخرة الى مالطا ومن مالطا بالجو الى الدوحة مرورا بمحطة فى الطريق، وهكذا فى العودة ايضا.

ومع انها ليست الرحلة الوحيدة التي نلتقي فيها معا الا ان هذه الرحلة بالذات تركت فى نفسي انطباعا حميما نحو على الفراني شاعرا ومثقفا وكاتبا لا تفارقه روح الجدية والعناية بما يكتبه او يبدعه للناس.. انه يوحى لك دائما بانه مسؤول من كل كلمة يقولها فلا يجامل ولا يداهن وهذا ما اكسبه احترام الكثيرين..

■ **رحم الله على الفزاني الذى ترك فراغا ورحل، وترك علاقات ستعيش مع اصحابه واصدقائه سنوات طويلة.**

الطفيليون!

■ **الجهلة وحدهم لا يطيقون الحديث عن الثقافة..**

- اذا جلست فى مجمع فيه جهلة واخذت تتحدث عن قضية تتصل بالادب او الفن او الثقافة فسترى ان أول من يتململ قلقا ويضيق بالحديث هم الجهلة.
- والجهلة قد يوجدون بالمصادفة فى مجالس الادب او الثقافة واحيانا –وهذه كارثة– يتواجدون بالمصادفة ايضا ولكن فى مواقع الكتابة!
- والجهلة يضيقون بالحديث عن الثقافة لأنهم كلما تكلمت أمامهم في قضية ما أشعرتهم بعجزهم وجهلهم وقصورهم، ولذلك يتململون حتى تسود وجوههم أو تبيض –حسب لون البشرة– وتضيق صدورهم بالغضب وسرعان ما يعبرون عن هذه الحالة المرضية بألفاظ طائشة فجة وسقيمة ومع ذلك فان هذا الموقف لا يشفي غليلهم وإنما يظل يأكل فى داخلهم حتى يموتوا بغيظهم وهم أناس من طينة لا تشفى امراضها بسهولة..

والعيب ليس فى هؤلاء الجهلة بقدر ما هو في من يتيح أمامهم فرصة الكتابة ويوفر لهم منبرا ينفثون من خلاله سمومهم واحقادهم.

وبعض الصحف العربية تقع فى خطأ فادح حين تستأجر أقلاما جاهلة وحاقدة ومريضة وتترك لها المجال لكي تكتب ما تشاء وكيفما اتفق، وهي بهذا الموقف تساهم في تلويث اجواء الثقافة، هذه الاجواء التي يجب أن تكون نقية على الدوام خالية من الطفيليات ممهدة للخصب والنماء وليس للجذب والشر، وليس ثمة من مبرر فى نظري امام هذه الصحف فى هذا الموقف سوى أن أصحابها هم أنفسهم لا يميزون بين الجيد والخبيث وبين الصالح والطالح أو أن قضية الثقافة لا تعتيهم كثيرا لأنهم يخصصون أبوابا وزوايا وصفحات لبعض أشباه المثقفين وينظرون الى هذا الموقف على انه مجرد تزيد. فللصحف مهمة رئيسية اخرى هي ما يعنيهم أمّا الثقافة فأمرها مجرد ترف، وقد يتخيلون ان

ابواب الثقافة وصفحاتها وزواياها مجرد إرضاء لفئة معينة من القراء تلح فى البحث عن مادة اخرى بين صفحات الصحف غير شواغلها الرئيسية.. ومن باب الاستهانة بقضية الثقافة حدث كل هذا الأسقاف الذى نراه في عديد الصحف التي تملأ الاسواق. ومن باب الاستهانة بقضية الثقافة تسرب للصحف اشباه مثقفين وتسربت اليها اسماء لا علاقة لها بالكتابة وتسرب اليها جهلة لا يميزون بين السمسرة فى اسواق السيارات القديمة وكتابة النقد بين المفاصلة فى الصفقات التجارية المشبوهة وبين الحوار فى قضايا الادب بين التعمق فى طرح الاراء وبين الثرثرة فى شئون الاهتمامات المريضة والمنحرفة..

إن فى ذلك جناية على الادب والفكر والثقافة وبسبب هذا التهاون في فرز المادة المنشورة أمتلأت الساحة باشباه الكتاب واشباه الشعراء واشباه النقاد واشباه القصاصين و.. اشباه المحررين الصحفيين ايضا، وغطى هذا الضباب أو يكاد يغطي على الانتاج الجيد والرصين والجاد وجعل الأقلام التى تحترم نفسها تبتعد عن الساحة وتهجر النشر فى محيط اسن!!

هذا الموقف أفقد بعض الصحف قراءها وأفقد بعضا آخر احترامها، ثم ترتفع الشكوى رغم ذلك من بوار بضاعة الادب والثقافة وانخفاض أرقام التوزيع.

ظاهرة المستمعين الجهلة فى منتديات الادب والمحررين الجهلة فى الصفحات الادبية تحولت الى مرض فى حاجة الى علاج سريع!

انهم يخترعون لغتهم الخاصة

• رحم الله الدكتور طه حسين عميد الادب العربي. فقد كان صاحب نبوءة.. جاءت مرحلة في حياة الدكتور العميد تزعم فيها الدعوة الى كتابة اللغة العربية كما تنطق مثلما هو الحال في اللغات الاجنبية وقد رأى في هذه الدعوة تسهيلا على الاجيال في تعلم الكتابة بسهولة والاستغناء عن قواعد الاملاء المعقدة بعض الشيء والتي تجعل النشء يعانون من صعوبات جمة وهم يتعلمون الكتابة، وضرب الدكتور العميد مثلا باسمه الشخصي ودعا الى كتابته مثلما ينطق فـ «طه» يجب ان تكتب «طاها» وهكذا بالنسبة لكل الكلمات الاخرى في اللغة .. ولكن دعوة العميد لاقت صدودا ورفضا وهاجمها الناس في ذلك الزمان ورموا صاحبها بكثير من التهم والنعوت فلم يجد امامه مفرا من التراجع، وهكذا ماتت الدعوة في المهد.. ولكنها على الرغم من ذلك كانت نبوءة!

فها هو جيل بكامله من ابناء الامة العربية يعود الى دعوة طه حسين على الرغم من انه جيل لا يعرف من هو طه حسين ولم يسمع باسمه ولا يدري ما هي صناعته ولا ماهو محله من التاريخ.. جيل هكذا مجثوث الجذور وتلقف النبوءة من الهواء على طريقته الخاصة فاخترع طريقة جديدة في كتابة اللغة.. طريقة قد تكون قريبة من الطريقة التي دعا اليها طه حسين وان اختلفت معها في كثير من التفاصيل.. فهذه الطريقة التي يسير الجيل الجديد على دربها.. طريقة متحررة من اية اصول او قوانين او قواعد طريقة هكذا هلامية غريبة ولكنها طريقة على كل حال!

فالجيل الجديد يكتب كيف اتفق.. يكتب بمزاجه فيسقط حروفا كثيرة من الكلمة الواحدة ويبقي منها البعض الذي قد يدل عليها بقوة التخمين او بالفهلوة احيانا.. وهو لا يكتب كما تنطق فيستخدم المد والجر والرفع حسب السماع ولكنه يكتب مكتفيا بما قد يعلق في ذهنه من الكلمة كما ان نطق الجيل الجديد للكلمات نطق غريب يتشابه مع

الكلمات ولكنه ابدا لا ينطقها كما ينبغي او كما هي الاصول والقواعد والصوتيات السليمة .. ففي لسانه لكنة وفي حلقه ضعف ونطقه أخنف احيانا والثغ احيانا اخرى ويعاني السامع كثيرا قبل ان يعرف او قبل ان يستدل على الكلمات التي يبغبغ بها سامعه وبالتالي فلا مجال لوضع قاعدة كتابة الكلمات كما تنطق، او لعله يكتبها كما ينطقها على هذه الطريقة الغريبة العجيبة الجديدة والمخترعة بحسب عبقرية الجيل الجديد.. ولذلك اذا اردت ان تقرأ ورقة يكتبها احد ابناء هذا الجيل فستحتاج الى عبقرية وحكمة حتى تتوصل الى تكوين فكرة عما هو مكتوب امامك والامر كله يتوقف على قدرتك على الاجتهاد.

والأمثال كثيرة مما يدل فعلا على انه جيل مخترع يخترع لغة خاصة ويكتبها على طريقته الخاصة وهو جيل تفوق على طه حسين اشواطا كثيرة فعلى الأقل طه حسين كانت له قوانينه التي تسند رأيه اما هذا الجيل فهو لا يعترف بالقوانين كما انه جيل لا ينجز هذا الاختراع العظيم في تكريس لغته الجديدة من خلال قيود، انه جيل ضد القيود والقوانين والقواعد والأصول.. انه جيل مخترع ومتمرد!!

أما مسألة قواعد النحو والصرف وما إليها فهذه مسألة تجاوزها الجيل الجديد من زمان.. ومن عجيب ان هذه الاختراعات العظيمة ارتقت إلى الأدب بكل فنونه ارتقت إلى القصة والقصيدة والمقالة والبحث.. فأنت تجد كل هذه الضروب من فنون الكتابة تستخدم الاختراع الجديد بكل راحة بال وبكل اطمئنان ومن لا يعجبه هذا الوضع فليشرب من ماء البحر! قدر لي ان احضر ذات مرة اجتماعا بمقر إحدى الصحف، وهو مكرس لمناقشة وضع الصحيفة وما ينشر فيها من مواد ومستوى الكتابة واسلوب التحرير الخ.. وعندما اعطيت لي الكلمة للادلاء برأيي في ذلك الاجتماع تكلمت بهدوء عن ضعف اللغة التي يكتب بها بعض المحررين والاخطاء الكثيرة التي ترد في مقالاتهم وقبل ان امضي كثيرا في عرض وجهة نظري فوجئت بقهقهة مجلجلة تصدر من احد الاركان فالتفت لأرى احد المحررين الشبان يكاد يستلقي على قفاه وهو يقهقه على ذلك النحو الغريب.. وعندما التقط انفاسه قال لي بكل وقاحة.

■ **احنا مازلنا يا استاذ عند هذا الكلام الفارغ؟!**

وكاد يغمى علي من المفاجأة.. ولكنني تمالكت نفسي ثم لملمت أوراقي وخرجت.. ويبدو اننا نحتاج الى صبر ايوب حتى نستوعب هذا الاختراع اللغوي الجديد.

الارض عربية ولن تكون (عبرية)

- يوم الارض تستقبله الجماهير الفلسطينية هذه المرة بعاصفة الدم وتستقبله الجماهير العربية والاسلامية بعاصفة الغضب.

ما من مرة يطل يوم الارض منذ النكبة الا وتكون الارض فى حالة وعي كامل بأنها مغتصبة وأنها واقعة فى الأسر.. وما من مرة يطل هذا اليوم منذ عام 1948 إلا ويجد شعب فلسطين صاحيا مفتوح العينين على الجريمة التى ارتكبها التواطؤ الدولي على لسان (بلفور) وبمخلب اسمه بريطانيا وكان يمكن الا تمر هذه الجريمة لو كانت هناك عدالة حقيقية وضمير عالمي يختلج بعروق الحياء.

- فما من شريعة فى الارض توافق على تشريد شعب كامل وطرده من ارضه واعطائها لحفنة من القتلة وشذاذ الآفاق وحثالة شعوب العالم لا رابط بينهم سوى نزعة الشر ولا وجه من الحق يخول أيا كان ان يوافق على منحهم ارضا ليست لهم ليقيموا عليها دولة هي أبشع دولة عرفتها الانسانية عبر التاريخ.. ويكفي لكي يعرف اصحاب العيون المعصوبة حجم الجريمة، أنه منذ عام 1948 وحتى هذه الساعة أي اكثر من نصف قرن على صدور الوعد المشؤوم لم تعرف هذه الارض لحظة واحدة من الأمن او الاستقرار او الهدوء، اكثر من نصف قرن من المقاومة والثورة من اجل فضح الجريمة والاحتجاج على الاغتصاب، وفى مقابل المقاومة المشروعة ظلت اسرائيل الدولة اللقيط طوال نفس المدة مصدرا لزعزعة الأمن فى المنطقة ومصدرا لشن الحروب ومصدرا للدسائس والمؤامرات والتجسس، فهي شوكة فى صميم أمن الشرق الاوسط اهم واكبر مناطق العالم واشدها تأثيرا فى مجريات الاحداث العالمية كلها بعد أن ظلت قبل وجود هذا المسخ وطوال الاف السنين مهد حضارات ومدنيات وازدهار واستقرار واشعاع معرفي وفلسفي وثقافي، فجاء الكيان الصهيوني ليزعزع كل هذا وليغرس خنجرا مسموما حاول الان يشوه كل شىء وان يطمس كل شىء حول أرض فلسطين الى مستوطنة كبرى تضج بالشرور التى جاء بها

اليهود فى ركاب هجرتهم فلم يلتق فوقها الا كل مطرود من وجه العدالة وكل ملعون بين أهله والتقوا كلهم على معاداة الانسان والخياة فمارسوا البغي والعدوان والجريمة وطوال اكثر من نصف قرن حاولوا نشر موبقاتهم بكل الطرق ولم يخلفوا الا الجرب والقبح.

• مهما سالت الدماء.. ومهما كان عدد الشهداء فان الارض العربية لن تصبح أرضا عبرية.. واذا كان القتال من اجل تمريرها قد استمر نصف قرن فكيف يكف الآن هؤلاء الفلسطينيون الأفذاذ عن مواصلة اسطورة الكفاح.. الاغبياء وحدهم الذين يتصورون أن الاغتصاب سيدوم..

• انهم الآن يعيشون على بركان، كما ظلوا يعيشون على بركان كل هذا الزمن وهذا هو مصيرهم البائس اليوم وغدا وبعد غد الى ان تعود فلسطين الى اهلها.. فالطفل الفلسطينى يولد وهو يشعر أن قدره ان يكافح من اجل تحرير الارض، ولقد فشلت حتى الآن المجازر الوحشية ومحاولات التذويب والاغراءات بالتهجير والتوطين ومنح الجنسيات الاجنبية بسخاء ومحاولات شراء الذمم والتهجين، فشل كل ذلك فى ان ينسي الفلسطيني أن ثمة عدوا اغتصب أرضه بغير وجه حق وهو يشب وتشب معه قناعاته بأنه بدون هوية مالم تعود الأرض وبلا انتماء إلا أن يكون انتماءه الحقيقي الى هذا التراب الذي كان لآبائه واجداده منذ الاف السنين.. ومادام هذا الهاجس ينشأ فى تكوينه فسيستمر يبذل الدم والشهادة والتضحية. هذه مسألة تاريخ ثقافة ومشاعر روحية ونفسية لا تفلح في ازالتها اية قوة على الارض.

• ابناء فلسطين سينتصرون لأنهم مملؤون يقينا من الداخل بعدالة قضيتهم اما اعداؤهم فسيخسرون لأنهم مهزومون من الداخل بسبب احساسهم بانهم مغتصبون.

في الطريق الى بغداد

● منذ ان اقلعت بنا الطائرة من طرابلس الى بغداد في رحلة خاصة لتحدي الحصار أخذت صور كثيرة من ظلم القوى الغاشمة تطوف بذهني ويقفز من خلالها سؤال واحد.

■ **كيف سيكون العراق بعد كل هذه السنين من الحصار؟**

كانت رحلة الطائرة الليبية الخاصة تضم عددا كبيرا من الادباء والكتاب والمفكرين والفنانين وفئات متعددة من المجتمع وأحسست بأن كل واحد منهم يطوف بذهنه نفس السؤال.

لقد مررنا نحن ايضا بهذه التجربة القاسية، غير اننا في ليبيا اكتشفنا حقيقة لم تخطر ببال القوى الاستعمارية التي طبقت علينا عقوبات لا تستند الى اية شرعية سوى شرعية القوة الغاشمة في عالم اختلت فيه الموازين وتهدمت كل الشرائع امام الغزو الامريكي.

هذه الحقيقة هي ان الحصار لايؤدي الى الغايات التي يتوهمها من هم وراءه وانما يؤدي الى العكس من ذلك تماما! انه يؤجج روح التحدي ويزيد من قدرة الشعوب على الصمود.

وعندما حطت بنا الطائرة على ارض بغداد قرأت كل هذه المعاني على وجوه الناس الذين كانوا فى استقبال هذه الطائرة التي اخترقت الاجواء لتعلن عن سخريتها من أوهام الذين فرضوا الحصار وتصوروا انهم سيقتلون روح العروبة سواء هناك في ليبيا التي تركناها وراءنا وقطعنا هذه المسافات او هنا في العراق الصامد حيث تهبط الآن فنانون، ادباء، كتاب، مفكريون، سياسيون وصحفيون ممثلون لشراح عديدة من المجتمع الليبي وعلى السنتهم جميعا هتاف واحد فليسقط جبروت القوة الطاغية ولتحيا الشعوب التي تناضل من أجل العدالة والحرية.

صحيح ان الثمن الذي دفعناه كان غاليا ولكنه مع ذلك يهون من اجل ان تسقط كل اوهام المستعمرين وتبقى المباديء الشريفة.

صحيح ان ما رأيناه في بغداد كان في بعض جوانبه موجعا للقلب، وصحيح ان امريكا انتصرت على الاطفال الصغار عندما حرمتهم من حبة الدواء وقطرة الحليب، وصحيح انها جعلت لقمة العيش صعبة ومرة لدى الشيوخ والعجزة والارامل، وصحيح ان القنابل الامريكية اخترقت الملاجئ والمستشفيات والمدارس والاحياء المدنية الآمنة وتسللت الى غرف نوم الازواج في شهر العسل والشعراء وهم يهمون بكتابة قصيدة جديدة والعصافير وهي تبني اعشاشها في حبور وسعادة والى الازهار وهي في لحظة المعاناة من اجل التفتق، ولكن مع كل ذلك جاء الانتصار على غير ما كان يتوقع الاعداء.

ظل زمن الحصار يأكل الحقد الاسود لدى المستعمرين ويعزز قوة الصمود لدى الشرفاء الذين ازدادوا تعلقا بالمبادئ الثورية واصرار على اعلان عدالة قضيتهم. ونهض العراق.. كما نهضت ليبيا من قبل لبناء ما هدمه المستعمرون حتى وهما تحت وابل القصف وهطول قنابل حلف الاطلسي. عندما التقينا في بغداد مع عدد من المثقفين ضحكنا كثيرا من سذاجة تفكير المستعمرين.. فلقد تصوروا انهم اذا سددوا ضربة موجعة للعراق وليبيا فسيكون في استطاعتهم آنئذ ان يدمروا مواثيق السلام في المنطقة فاذا ليبيا يزيد عنفوان ثورتها واذا العراق يبقى صامدا رغم القنابل، وإذا الانسان العربي الذي يولد توأ ينهض عن أقمتطته ويلتقط حجراً ويأخذ في رشق الاعداء ويكتب اسم فلسطين بالدم..

من حيث اراد المستعمرون أن يبعثوا برسالة إلى العرب والعالم بإن الذي لا ينصاع لأوامر امريكا مصيره الفناء والزوال كما يجري لليبيا والعراق خرجت رسالة أخرى لم تكن متوقعة.

هذه الأمة لها جبروت لا يموت.. جبروت لا يقدر عليه القصف ولا تقّدر عليه القنابل.. جبروت باق لأنه في أعماق الروح والتاريخ والحضارة.. انقلب السحر، وأخصب صمود ليبيا والعراق في الارض العربية روحاً متمردة متحدية .. بل ربما جدداها وهي كانت موجودة من قبل لأنهما كانا معا ليبيا والعراق يتخذان من التاريخ مرجعية، ومن عظمة الشعوب سنداً وظهراً.

- **الاستعمار الآن مرتبك أمام تدبيره البالية فلا القنبلة استطاعت أن تخمد صوت الحجر، ولا الحصار يقوي إرادة التواصل في ما بين الأمة من وشائج.**

الأطفال يهزمون الأشباح

- **الأطفال يهزمون الكبار** في هذه المعادلة الصعبة التي تقع فوق ارض فلسطين .. يهزمونهم افرادا ودولا وينتصب الحجر شامخاً ويبقى المقلاع اقوى من المدفع.
- **الأطفال هزموا البطة العرجاء** بيل كلينتون، فالرئيس الامريكى الذي يتأهب لمغادرة البيت الأبيض بعد دورتين رئاسيتين كاملتين -فى امريكا- يطلق عليه مصطلح البطة العرجاء، أولا لأن البطة العرجاء غير قادرة على ممارسة المشي الطبيعى لأنها برجل سليمة ورجل معطوبة وثانيا البقاء دورتين رئاسيتين كاملتين فى مقعد الرئاسة يجعل الرئيس عادة يترهل بدنيا وعقليا من كثرة الجلوس على الكرسي الوثير فى المكتب البيضاوى وكثرة اصدار القرارات! فالأطفال الفلسطينيون الصغار هزموا البطة العجراء لأنهم اظهروها امام العالم عاجزة وعديمة المصداقية وفاقدة للسيطرة على المواقف كما ينبغي وبلا تأثير.
- **والأطفال الصغار الفلسطينيون هزموا الكونغرس الامريكى** لأنه وهو يصدر قرارات تنحاز جهارا نهارا الى جانب الظلم والهمجية الصهيونية أصبح أضحوكة فى تظر الرأي العام العالمي الذي يرى الجيش الاسرائيلي بدباباته ومدافعه الثقيلة وصواريخه وطائرته يواجه الأطفال بوحشية وهم ليس بأيديهم سوى حجارة وصدور لا تهاب الموت والأطفال الفلسطينيون الصغار هزموا أمريكا لأنهم عندما فضحوا رئيسها على هذا النحو الذي زعزع شخصيته وهز صورته وعندما جعلوا من الكونغرس مجرد أضحوكة فى نظر العالم فان ذلك يعني هزيمة مريكا نفسها لأن امريكا هي الرئيس والكونغرس.
- **والأطفال الفلسطينيون الصغار هزموا اسرائيل** فلقد أحدثوا لديها كل هذا الفزع واسكنوا فى اطرافها كل هذا الرعب فاستخدمت هذه القوة الهائلة فى مواجهتهم فان ذلك يعني الهزيمة حتى وأن سالت الدماء وسقط الشهداء فالمثل يقول (عصاة

الجبان طويلة) وكل هذه القوة التي دفعت بها اسرائيل الى ميدان المعركة يدل على أنها مهزومة من الداخل.

- **والأطفال الفلسطينيون الصغار هزموا كل اليهود** الذين فروا كالجرذان المذعورة وتركوا المستوطنات وهرولوا الى المخابئ رغم حماية الجيش ورغم انهم مسلحون بينما الأطفال الصغار ليس بين يديهم سوى الحجر.
- **والأطفال الفلسطينيون الصغار هزموا اسرائيل** لأن ماكينة الانتاج معطلة والحالة مرتبكة واسرائيل تخسر المليارات بينما الأطفال الصغار ليس لديهم ما يخسرونه لأن الحجر موجود في كل مكان ولا يحتاج الى ذخيرة او وقود او قطع غيار وليس للحجر عمر افتراضى ليتحول بعده الى خردة..
- **اذن فالأطفال الفلسطينيون الصغار يهزمون الكبار دولا وافرادا..** وبكل الحسابات الأطفال قادرون على الصمود لسنوات طويلة بينما اعداؤهم لا يقدرون على هذا الاستمرار الذي يمتلكه الأطفال.

كل الذي تفعله اسرائيل الآن هو محاولة غيبة للتغطية على العجز.. لقد اصابتهم حالة من الجنون من اندلاع الانتفاضة الثانية انتفاضة الاقصى .. وهزيمتهم الحقيقية تكمن فى كونهم رغم كل الوحشية التي يمارسونها على الأطفال الصغار لم يستطيعوا لا فى المرة الاولى ولا فى المرة الثانية أي انتفاضة الاقصى، لم يستطيعوا ان يضعوا حدا لصمود الأطفال واصرارهم على مواصلة ثورتهم.

■ **هذه هي الهزيمة الحقيقية التي لا تعرف اسرائيل كيف تداريها ومهما حشدت من قوة فالاطفال باقون والحجر يواصل فعله الذى هو اقوى من فعل كل المدافع التي يمتلكها جيش العدو..**

مشروع محمد جمال الدرة

لدعم الانتفاضة مليون بطاقة بريدية

- **الفكرة بسيطة اضعها بين يدي المواطن العربي والمواطن المسلم خارج الوطن العربي..**
- مجرد تصميم بطاقة بريدية مصورة فى احدى زواياها مشهد موت الطفل محمد الدرة وهو يحتمى بظهر والده كشعار أما في بقية مساحة البطاقة فأي صورة أخرى من مشاهد الموت التي نفذتها القوات الصهيونية ضد أطفال فلسطين.. وليشرع الشباب العربي والشباب المسلم بتوزيع هذه البطاقات فى كافة أرجاء العالم تحت عنوان (الاسرائيليون يقتلون الأطفال).

ليبحث شبابنا ورجالنا عن عناوين شباب العالم ورجاله من خلال الجامعات والنوادى الرياضية ومنظمات الشبيبة واية تجمعات اخرى من مثقفين وفنانين وصحفيين وسياسيين الخ، وما اكثر الوسائل التي سيحصلون بواسطتها على هذه العناوين وليختر كل واحد اسم شاب أو فتاة رجل أو سيدة وليرسل له هذه البطاقة مع عبارات قليلة خلفها معبرة تصدر عن وجداننا الموجوع لأنهم يقتلون اطفالنا الابرياء.

ليكن هذا مشروعا بسيطا تقدمه كجهد متواضع من اجل دعم معنوي للانتفاضة.. واذا اخذ هذا الاقتراح بما يكفى من الجدية وقام على اساس مبادرات فردية فستصل خلال أيام من مائة الى مائة وخمسين مليون بطاقة بريدية الى كل ارجاء العالم تندد بالجريمة ونشرح حجمها وبشاعتها.

وانا اعلم ان محطات العالم التلفزيونية تقوم الآن بمهمة جيدة وتغطية شبه كافية لفضح تفاصيل التصفية الجسدية التى يتعرض لها أطفال فلسطين ولكن الامر يختلف عندما تصل هذه البطاقات مباشرة الى شباب العالم والى الرجال والنساء في القارات الخمس مع عبارات مختلفة موجهة مباشرة للشخص المرسلة اليه..عندئذ سيكون الشعور مختلفا تجاه الجريمة، فاذا حسبنا الامر بطريقة اخرى وقلننا بان نسبة معينة من هذه المائة وخمسين مليون صورة سيكون لها التأثير المطلوب وهذا بطبيعة الحال يتوقف على

اسلوبنا وطريقتنا فى مخاطبة الناس وإثارة مشاعرهم تجاه جريمة القتل واراقة الدماء فان معنى ذلك أننا سنكسب موقعا آخر فى الرأي العام العالمي جديدا ومتقدما هو ما تحتاج إليهاالانتفاضة الآن وفضلا عن الرصيد الذى تكون لديها الآن عالميا فان فائدة هذا المشروع تتمثل في انه سيجعل التأييد حيا فى صفوف الراي العام العالمي..

اذا بادرت مئات الآلاف من محلات التصوير فى العالم الاسلامي الى تنفيذ مشروع هذه البطاقة كل باسلوبه وطريقة ابداعه من خلال مشهد حقيقى فان التنفيذ سوف لن يكلف كلا منا كثير، إنه لن يزيد عن دراهم معدودة أما عائده المعنوي فلن يقدر بثمن.

لتكن هذه خطوة اولى وسريعة فى المشروع.. ولا شك ان المبدعين العرب والمسلمين سيكتشفون اساليب عديدة ومتنوعة فى استثمار هذه المشاهد الحية والتى لن تموت بطبعها فى شتى الاوضاع مجتمعة او متفرقة عادية او من خلال خيال محلق يعرف كيف يجعل الدم يتكلم والشهداء يصرخون.

وشرف هذه الفكرة يمكن فى انها فوق مستوى أي نوع من انواع الاستغلال المادي، فاعتقد ان من سينفذون مشروعات دعائية واعلامية من هذا القبيل لن يقبلوا بان يتاجروا بدماء الشهداء، عليهم ان يروا فيها مشاركة بجهد ولو بسيط فى دعم الانتفاضة ، وقد يرون فيها مناسبة لجمع عائدات مادية اذا كانت ستكون فى نطاق الدعم المادي للانتفاضة فهذا ممكن بطريقة ما ولا غبار فى نظري، هذه مجرد فكرة ولا شك ان غيرى لديهم عشرات الافكار.. انها مجرد مشاركة اضعها كفكرة بين يدي الناس اينما كانوا للوصول الى قلب العالم من خلال مشاهد حية تفضح الممارسات والصهيونية البشعة وجرائمها ضد الانسانية.

ياعزيزى احمد فريد

• اصدقاءنا الذين نحبهم وتقدرهم كثيرا نعبر لهم عن هذا التقدير، بالكلام، قليلا، واحيانا لا نعبر لهم عنه ابدا انما نمارس معهم سلوكا يدل وحده على ما في النفوس من التقدير والإعزاز والمحبة.

احيانا الكلمات اما انها تخوننا فلا نعبر عما فى نفوسنا بالقدر الكافي ولذلك تلجا الى الفعل وندعه وحده هو الذى يعبر.. الكلام يذهب مع الريح غالبا اما الفعل فيبقى ويدل، الدلالة اعمق من الكلام تعاملت مع احمد فريد غالي الراحل بهذه القناعة وبهذا المستوى، كان صديقي وكنت احمل له كل الإعزاز والمودة وكان زميلي فى العمل فكنت احمل له ايضا تقديرا عميقا ثم اصبح صهري وجدا لأولادي فشاب علاقتنا نوع من الجدية تكسره احيانا بالمرح والنكتة والمزح بينما زاد قربا الى قلبى ووجدانى.. كان من الرواد فى العمل الإذاعي فهو من أول المذيعين الليبيين الذين التحقوا بالإذاعة منذ إنشائها ودخل مباشرة الى الاستديو وقرأ نشرة الأخبار بعصامية غريبة فى العمل الإذاعي، لم تكن علاقته بالميكروفون سوى عن طريق السماع، وكان وهو مدرس صغير السن يستمع كثيرا الى الإذاعات ويقول معارفه فى مرحلة الصبا انه كان يقلد اصوات المذيعين مذيعي لندن والقاهرة وكان يحب ان يلقى نصوصا كثيرة ارتجالا وبصوت مسموع، ولذلك عندما انشات ليبيا إذاعة وجاء فورا الى هذه الإذاعة ليكون مذيعا اجريت له تجارب على الصوت واللغة والنطق وإلقاء الأخبار وفى اليوم الثاني قرأ نشرة الأخبار على الهواء مباشرة، وكان رائدا رحل بكل اسف دون ان يكرم بين كثير من الرواد الذين كرموا فى مجالاتهم، وعندما انضمت انا ايضا الى الإذاعة فى نفس الأيام تقريبا سرعان ما توطئت العلاقة بيننا لأنني اكتشفت فيها الى جانب إمكانياته الصوتية مثقفا وشاعرا وذواقا وحساسا للموسيقى والغناء والاصوات الجميلة ايامها، لكنه رحمه الله لم يسمع مني تقريبا كلمة إطراء، كنت اعبر عن تقديري وإعزازي له بالفعل إذ اصبحنا اصدقاء ثم اكتشفت انه كان ايضا

صديقا لأخي الراحل، الأكبر منى سنا ثم اكتشفت اكثر من ذلك ان لجده علاقات وطيدة مع عمى فى الفترة بين خروج الطليان ودخول الإنجليز الى ليبيا ولهذا الحديث مكان آخر وتعرفت الى والده وجده وأقاربه الأفاضل فى العجيلات مسقط رأسه والمكان الذي ووري فيه التراب، من العجيلات انطلق واليها عاد جثمانا مسجى تحلق روحه فى السماء، وما اكثر ما قدمت العجيلات لهذا الوطن من اسماء مرموقة وناجحة واحيانا عالمية.. ولذلك ايضا حديث آخر.. وعندما صاهرته احسست بان احمد فريد اقترب الى قلبى اكثر ولماذا لا فهو جد أولادي.. كان تركيبا خاصا وتكوينا خاصا، التقينا فى لندن ذات مرة على غير ميعاد، وسهرنا معا وفي تلك السهرة كاشفني بانه وقع عقدا مع البي بي سي وسيعمل هنا فى لندن.. اذكر انني فوجئت بهذا القرار وقلت له ليلتها على الأقل كان يفترض ان تستاذن فى هذا العمل (مع جهة اجنبية) قال لي انا مغرم بالعمل الإذاعي وأشعر ان إذاعة لندن قادرة على استيعاب كل طموحاتي الإذاعية ولا أعرف شيئا عن الإجراءات .. ولكن..

بعد ذلك ارسل معي رسالة الى أمين العدل يشرح فيها الأمر ويستأذن فى العمل فحملت الرسالة ووزعت منها نسخا علىكل الجهات الرسمية واجريت ما يكفى من الاتصالات فابلغت بانه لا مانع هناك، وايضا سوى أموره العائلية بعقلانية ومنطق ولم أكن اشعر أيامها انه اتخذ موقفا خطا.. كان شاعرا ما أكثر ما قرأ على من نصوص جميلة، ولقد لحن له الأستاذ عبد الرحمن قنيوة اكثر من عمل «شرق وغرب» وجال وصال ثم عاد أخيرا وكان أول مكان مكان ذهب إليه العجيلات مسقط الرأس ومواطن الأهل والأخلة والأقرباء، عندما رحل وأبلغوني بالخبر سقطت دمعة من عيني وابتعدت لأتامل حياة هذا الرجل الحياة التى لا يعرفها الكثيرون، وأخذت أنظر الى احفاده واقاربه الذين يبكون كثيرا فى تلك اللحظات ولا يعرفون كيف يتاملون حياته لأن حياته لم تكن متاحة للتامل بالقدر الكافي ليبيا تعرف احمد فريد مذيعا ناجحا وصوتا رائعا عريضا باتساع الأفق لكنهم لا يعرفون القلب الذى كف عن الخفقان كيف يعمل وكيف يدير الجسد الذى ذوى فوجئت بان لاحمد فريد وصية لدى اخيه الرفيق الخلوق مبروك ولا تهمني تفاصيل الوصية بقدر ماهمتني وصيته بخصوص مكتبته، فلقد اوصى بان تهدي لاحدى مكتبات المنارات العلمية وحبذا لو كانت منارة سيدي (عبد السلام الاسمر الفيتوري) .. يالك من راحل عزيز قل من يعرف اعماق قلبه..

مهلا يا أبا عثمان

● **لست** ادري اهو ابو عثمان الجاحظ ام هو عبد القاهر الجرجاني ام هو أي مفكر عربي آخر ذلك الذي قال «الافكار مبثوثة على قارعة الطريق» تستطيع ان تلتقط منها ما تشاء وان تبدأ فى الكتابة، المسألة مرهونة بقدرتك على الالتقاط وحسن الاختيار ومهارة الكتابة، اما عدا ذلك فها هي الافكار على قارعة الطريق قدامك ووراءك على يمينك وعلى شمالك، استعد فقط وانطلق!

● **فهل** حقا كانت الدنيا مفتوحة الى هذا الحد وسبهللا على ايام الجاحظ والجرجاني والآخرين؟!

● **مالنا** اذن نتردد الف مرة امام فكرة الكتابة ويخطر لنا الف خاطر بمجرد ان نتناول القلم والورق ويقفز الى اذهاننا الف راي ثم لا نلبث حين نجد انفسنا وجها لوجه امام المساحات البيضاء ان تتجمد فى اماكننا وتتيبس العبارات على شفاهنا وتجف اقلامنا وترتعش ايدينا ثم سرعان ما نولى الإدبار فرارا من امتحان المواجهة وهروبا من شبح يتربص بنا وينصب لنا فخاخه على جانبي الطريق وينتظر اللحظة التي نمارس فيها رغبة الصدق فيطبق علينا ويدفعنا امامه الى الظلام؟

● **فهل** نحن نكابد وهما ام اننا بين الواقع والوهم نتمرق تحت وطاة رواسب موروثة جررناها وراءنا منذ عصور فارتكبنا اثم المداهنة بسببها حينا واكتفينا بنصف الكلمة حينا آخر وعندما كانت فرصة الاختيار متاحة فضلنا الصمت ونظرنا الى هذه الافكار المبثوثة على قارعة الطريق كما يقول (ابو عثمان) فاذا هي كائنات مفزعة، الاقتراب منها يشبه المغامرة، عواقبها غير مأمونة، ومحنتها قاسية ولها لعنة تشبه لعنة الفراعنة فالتقتنا الى الاتجاه الآخر ثم مضينا لا تلوي على شيء.

● **من** اين لنا ان نفرق بين الحقيقة والوهم وهذا هو العساس مزروع فى اعماقنا ونسمة الهواء التي تلفح وجوهنا فى فضاء نسميه الحرية تصيب اجسادنا بفالج التردد

فينبعث الشك اقوى من كل شيء ونصبح مدمنين لاغلالنا اسرى لهذا الطيف الذى يخطف الابطار فيجعل الحروف تتراقص امام ناظرينا ويتراءى لنا شرطي خلف كل كلمة نحاول كتابتها يتحسس زناد مسدسه ويفتل شواربه الغليظة الكثة، (يفنّص) فينا بخبث، ويزوي ما بين حاجبيه متابعا رسم الحروف على السطور.

● **فماذا** نفعل يا ابا عثمان الجاحظ بهذه الافكار المبثوثة على قارعة الطريق اذا كنا نقلبها لحظة خاطفة ثم نقذف بها بعيدا مرعوبين حد الجنون ومهزومين حد التخاذل فهل ثمة من مبرر لأن تلاحقنا هذه الكلمة من جيل الى جيل مثل كرة المطاط التى تتقارفز على سطح أملس شديد الصلابة؟

● **ليس** بين زمانكم وزماننا من شبه فانتم العلماء ورثة الانبياء أما نحن فحصاد الهشيم!

والكتابة فى زماننا ولادة قيصرية انها تمر بحالات من التعسر الشديد والام المخاض المبرحة ثم يخرج المولود من بين المشارط والمباضع الكثيرة ضعيفا هزيلا ناقصا في كثير من ملامح التكوين الطبيعية التي يهبها الله عادة للبشر عندما يرون النور لأول مرة في ظروف طبيعية.

■ **انتم تمدون ايديكم فتلتقطون ما تشاؤون من الافكار والمعاني وتطلقون لخيالكم العنان. اما نحن فالقابض على الفكرة كالقابض على الجمرة، وشتان بين الحالتين!!**

غادروا متعجلين

● **لماذا استعجلوا الرحيل، هكذا، فجأة فى العالم الاول من بداية القرن الجديد؟**

تركوا هذا الاستبشار والامل الذي يغمرنا جميعا وادارو ظهورهم لهذا العالم وغادرونا وكأنهم يهزأون من شدة سذاجتنا وفرط فرحنا بالايام القادمة.

هل بلغ بهم اليأس هذا الحد الذي لم تنفع معه لا الاحتفاليات الكبرى ولا الاضواء التي بهرت الكون ولا البرامج التى استمرت حتى الصباح ليلة حلول العام الجديد وانهكت الراقصين والراقصات وخضبت وجوهنا بالاصباغ وارتداء الاقنعة التنكرية والطراطير فوق رؤوسنا مثل الاقماع المقلوبة.. اضربوا عن الصخب وواصلوا خطواتهم السريعة نحو النهاية. هل كان لابد أن يخلفوا لنا هذا الشك فى صدق عواطفنا ونحن فى غمرة الانبهار والتفاؤل ليقولوا بان موقفهم على حق بينما موقفنا نحن على باطل؟

●**لو** كان عددهم قليلا لما اصبنا بكل هذا الاحباط والشك فى جدوى التعلق بالحياة رغم بؤسها على أمل ان تنفرج محنة الانسان فيكتشف العلم دواء للاوبئة الماحقة، ويشفى الاف المدمنين على الاغراق فى غيبوبة المخدرات التى يتخذونها وهما لنسيان فضاضة الواقع وإمحاله، وتعود الدروب خالية من الحفر وتعود الجداول الى مجاريها والابتسامة الى الوجوه الضامرة الجائعة وينتهى الجهل الذي يخلف الخراب وتبرأ القلوب من الاحقاد والضغائن والكراهية وتصفى النفوس من اجل رؤية الغد فى صورة ابهى واجمل..

■ **ولكنهم كانوا كثيرين..**

● **على الفزاني الشاعر** الذي كان يصدح بالغناء ويغازل الحرية، عيسى ايوب الباروني الشاعر الذي ظل حتى آخر لحظة يدافع عن حق القصيدة الكلاسيكية فى البقاء والخلود، محمد الساحلي الفنان الذي يهز الأرض بضحكته المجلجلة ويملأ الشاشة ممثلا ومخرجا ومكتشفا للوجوه الجديدة، عمر المزوغي فارس القصيدة الشعبية، محمد بازامة المؤرخ والناشر الذى قدم الكثير من أجل التاريخ، بشير الهاشمى القصاص الذي يقف بثقة بين

الرواد واثرى المكتبة بعطاءاته المتنوعة.. ثم أخي عمر الذي لا تعرفه الأوساط كثيرا ولكن لوعته ما تزال فى قلبى رغم مضي شهور انفذ واكثر عمقا، كان استاذا مثقفا من القلة الاوائل الذين اتقنوا اللغة الانجليزية وشارك فى تأسيس صحيفة باللغة الانجليزية في مالطا وكتب مقالا يتيما بالعربية يقف على قمة التناقض مع قناعاتي الفكرية ولكني اعتز به مع ذلك، وعرف عمر السجن والمعتقل فى اوائل الخمسينات عندما كان في بنغازي مشاكسا للحاشية الملكية الفاسدة وكانت رسائله لي وانا صغير تأتينى من داخل السجن يشجعني على التحصيل ويقوي فى نفسي التعلق بالحياة والمستقبل.

● **كل** هؤلاء بهذه الكثافة غادرونا في اول العالم، تركونا ونحن نتبادل الأنخاب فى غمزة الاحتفالات.. رحلوا فى سن مبكرة قبل الشيخوخة الواهنة وقبل ان تكف قدرتهم على العطاء.. كنا نفاجأ بهم يختفون واحدا واحدا وكأنهم على اتفاق على اللقاء فى عالم بعيد عن عالمنا مؤثرين ان يتركونا فى لحظة غير مناسبة وقبل ان ننظف المكان من اثار العربدة ونعيد ترتيبه من جديد.

■ **كانوا كثيرين حقا ولهذا فلن نترك حزننا عليهم بسهولة..**

ضرر الكلمات الطائشة

● **لم** يتخلف الادب العربي بكل اجناسه عن المشاركة فى قضايا الامة ولم يكن الادباء خارج المعركة فى جميع الظروف الحالكة التي مر بها الوطن.

كان الادب قصة وقصيدة ومقالة ورواية ومسرحية فى قلب الاحداث يقول كلمته ويشارك فى تعزيز الوعي لدى الجماهير ويحرص على التمسك بقيم الحرية.. كان الادب مقاتلا وكان الادباء فى نفس الخندق مع المقاتلين..

● **وفى** اللحظات الحاسمة التي يكون فيها النضال العربي في حاجة الى تحديد المواقف كان الادباء دائما شعراء وقصاصون وروائيون ومسرحيون ونقادا اول من يهرع لاعلان الولاء لقضايا الوطن والانحياز الكامل للجماهير وهي تحتدم في الخطوط المشتعلة، لم تتخلف الطليعة العربية التى تقاتل بالكلمة عن القتال يحمل البندقية عندما تستدعى الضرورات هذا المستوى من المشاركة..

● **ما** اكثر الادباء والكتاب الذين سقطوا على جبهات القتال، وما اكثر الادباء والكتاب الذين تكتظ بهم السجون فى جميع اقطار الوطن العربي، وما اكثر الادباء والكتاب الذين تعرضوا للتعذيب والتشريد والملاحقة، بل ما اكثر الادباء والكتاب العرب الذين تعرضوا للتصفية الجسدية لا لسبب الا لأنهم اعلنوا انحيازهم الكامل للجماهير، ولم يترددوا فى اعلان ولائهم للوطن حين يكون الاختيار صعبا ويكون ثمنه باهظا.

● **ان** لوحة الشرف المعلقة على صدر الوطن تتزاحم باسماء الادباء والكتاب الشرفاء الذين لم يخونوا ضميرهم فلم يكسروا اقلامهم ولم يبيعوا هذه الاقلام او يؤجروها في مقابل الاغراءات الكثيرة او الضغوط الكثيرة فهم لم يحنوا هاماتهم بل كانوا على الدوام شامخين فى ملاحم القتال وساحات التضحية والاستشهاد، وامام هذه المواقف لا نعتقد ان من حق احد ان يعرض بالادب، حتى ولو كان هذا التعريض يأتي عرضا!

● **فى** هذه الظروف الدقيقة التي تمر بها القضية العربية ينبغي ان نكون مسؤولين عن كلماتنا خاصة اذا كنا نقف خلف ناقلات الصوت، عبر الفضائيات الكثيرة في ندوة او لقاء

او تحليل موقف من المواقف او جملة مواقف تتصل باخطر لحظة فى تاريخ المواجهة مع العدو.. فنحن الآن فى حاجة شديدة الى توحيد جبهاتنا الداخلية من خلال حشد كافة القوى للتضامن مع الانتفاضة، وعلينا ان ننتقي كلماتنا بمسؤولية وبعناية اولا لنحافظ على المصداقية عندما نتوجه بالخطاب للجماهير وثانيا حتى لا نسئ لاحد ونحن نتحدث امام العدسات او ناقلات الصوت التى تنقل ما تقوله الى قطاعات واسعة من الناس.

● **اشهد** الله اني امتعضت كثيرا وانا استمع الى احد لمفكرين السياسيين يردد اكثر من مرة القول عندما يريد التقليل من اهمية اراء المشاركين معه فى الحوار فى البرنامج الذي يستضيفه:

هذا كلام ادب، هذا كلام شعراء!!

●**وانا** أتصور ان صاحبنا الذى اخذ يردد هذه الكلمات مرات عديدة لم يزنها بما يكفي من المسؤولية، بل ربما لم يلتفت الى ما يمكن ان تحدثه من رد فعل لدى هؤلاء الادباء والكتاب الذين وهبوا اقلامهم ووظفوا كلماتهم من اجل الوطن وقضايا الامة المصيرية ودفعوا الثمن باهضا بسبب هذا الموقف .. انه بطبيعة الحال يلقي هذه الجملة ويكررها (استهانة واستهزاء) بدون ان يراجع نفسه قبل اطلاق الكلام فى وجه من يختلفون معه فى الراي، وهو ينجر الى هذا المستوى فى الحوار.

● **ولا** اظن أن ثمة تناقضا فى المواقف بين المفكرين السياسيين وبين المفكرين الادباء، بل هم جميعا فى جبهة واحدة وان كان لكل منهم اسلوبه وأدواته، ولم يكن الادباء فى يوم من الايام قاصرين عن فهم القضايا فى حجمها الصحيح بل ربما فى مواضع كثيرة كانت رؤية الاديب والكاتب ابعد غورا من رؤية السياسى.. واحيانا تستبدل الفكرة السياسية مواقعها وتنقلب مع الاهواء بينما الفكرة الادبية تظل مختفظة ببصيرتها الواعية النافذة مهما تقلبت الظروف او تغيرت المعطيات.. وليس من المناسب فتح ثغرة فى التوجه القومي الآن بسبب هذه الجملة العرضية التي وردت على لسان مفكر سياسي قد لا يكون بعنيها بقصد واعي ومتعمد وانما هي جملة عرضية دارجة ربما يستعملها بعض الناس فى الحياة اليومية لفرط سذاجتهم او قل لفرط تبسيطهم للامور، وكان بودنا الا ترد على لسان مفكر سياسي مهتم بالقضايا الاستراتيجية وفى هذه الظروف بالذات فلو كانت جاءت فى وقت مختلف لفجرت خصومة وما اغنانا عن الخصومات الآن، كل ما نتمناه ان يزن المتحدثون وما اكثرهم الآن كلماتهم بفهم وموضوعية ووعي فذلك أجدى حتى يحافظ الكلام على مصداقيتة وجدواه!

تشويه الصورة

● **كلما** شاهدت احد المسلسلات المصرية المنتشرة بكثافة عبر الفضائيات العربية اشعر بان هذه المسلسلات لا تدخر جهدا في تحقيق هدف محدد هو تشويه صورة مصر!

● **فاذا** كانت الحياة في مصر بهذه البشاعة التي تقدمها هذه المسلسلات فلماذا تهدر الحكومة المصرية عشرات الملايين من الجنيهات من اجل الدعاية للسياحة والاستثمار الاجنبي وانشاء المشروعات التنموية والنهضوية وبعث الشراكة مع رؤوس الاموال الوافدة وليس فيما نراه يعرض على شاشات التلفزيون ما يطمئن على تحويل درهم واحد لهذا القطر العربي العزيز.؟

● **فالوجه** الذي تقدمه المسلسلات يعرض علينا صورا مرعبة من الجرائم التي تسيل فيها الدماء ويسقط فيها الضحايا وتلفق فيها التهم ويتم تلبيس القضايا، جرائم بشعة من المؤامرات والصراعات الدامية من اجل السطو على اموال الاحرين واموال الدولة والقيام بعمليات التهريب وتجارة المخدرات وممارسة تعذيب الخصوم بوحشية في السراديب والتصفيات الجسدية، جرائم واسعة من الغش وتزوير المستندات وجرائم واسعة من الرشوة وشراء المحامين وضباط الشرطة والمدراء العامين والوزراء ومدراء الشركات وتعهير النساء والتجسس على انشطة الغير وتبادل الرصاص واشعال الحرائق وخطف الاطفال والبلطجة التي لا تحتكم الا الى القوة الخارجة على القانون وهكذا حلقات طويلة من الانهيار الاخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي تجعلك ترتعد كلما ذكر امامك اسم مصر.

● **ومع** اننا نعرف ان هناك مصر اخرى نشانا على حبها والاعتزاز بها والتطلع الى زيارتها الا ان هذه المسلسلات تتجاهلها تماما وتركض وراء هذا الوجه القبيح الذي هو مجرد قشرة موجودة بالفعل ولكنها ليست هي كل الواقع بدون شك.. لقد جلب الانفتاح والذي اميل الى تسميته بالانقلاب مساوى كثيرة ومقابح كثيرة وافرز قيما عربية على

المجتمع المصري فيها كل هذه الشرور التي تعرضها المسلسلات ولكن ان تتحول كل الجهود الانتاجية الى سباق محموم على تقديم نفس الوجه القبيح فان هذا فيه مبالغة تؤدي الى عكس ما قد يتصوره اصحاب هذه الاعمال بعد ان اصبحت ظاهرة..

● وثمة عامل آخر دفع الانتاج التلفزيوني في مصر الى هذا الاتجاه الى جانب ظواهر الانفتاح بما فيها من مساوئ، وهو ما يسيطر عليه بعض كتاب السيناريو المصريين من السيناريوهات العالمية. ففي السينما وفي التلفزيون في مصر يقع السطو سنويا على مالا يقل عن مائة وخمسين نصا عالميا يتم تمصيره واعطاؤه الطابع المحلي وهذا واقع من خلال شهادات من نفس الوسط الفني في مصر، فهم ينقلون الجرائم التي تقع في الغرب ليعطوها الملامح المصرية وبذلك احدثوا ارتباكا هائلا في عقل المشاهد وافلحوا فى تشويه صورة بلادهم.

● لا احد يطلب منهم ان يغضوا الطرف عما يجري فى الواقع من انحرافات وممارسات سلبية وظواهر جديدة تسيء الى المجتمع ولكن تحويل الامر الى اتجاه مكرس الى ناحية واحدة ومعالجتها بهذا الاسلوب الذي لا يخلو من فجاجة وسطحية هو الامر الذي يخلف كل هذا النفور لدى المشاهد الذي لا يرى الا تكرار الدوران في نفس المستنقع..

● ولست بهذه السطور اقلل من اهملية اعمال جليلة كثيرة انجزتها المسلسلات المرئية والسينما في مصر ولكن احيانا عندما تكبر ظاهرة من الظواهر في مجال من المجالات الفنية تحجب هي نفسها ما عداها وتشغل الناس عن الاعمال النفسية.

مقاومة التزوير الثقافي

تحتاج القضية الفلسطينية إلى (لوبي) ثقافي منظم بنفس المستوى الذي تحتاجه من وسائل أخرى لدعم المواجهة المباشرة مع العدو على مختلف الجبهات.. وهذا (اللوبي) الثقافي اصبح ضرورة ليتصدى القضايا التزوير والخلط والمغالطة التي يشتغل عليها العدو منذ زمن طويل.. من غير ان يلقى مقاومة منظمة تقف في وجهة. النشاط الصهيوني لم يهمل صغيرة ولا كبيرة في المسألة الثقافية الفلسطينية الا وتناولها ليضع عليها بصمته في مخطط مرسوم ومدروس لتجريد الهوية الفلسطينية من خصائصها وملامحها (العربية) وتحويرها بعد ذلك لتصبح (عبرية) وإذا لم يبعث (لوبي) ثقافي عربي لدفع هذا الخطر فان تصحيح التزوير في المستقبل يصبح أمرا في حكم المستحيل..

والنشاط الصهيوني في الجانب الثقافي شمل كل شيء تقريبا ابتداء من التاريخ وانتهاء بالعادات والتقاليد والتراث الفني والحضاري لشعب فلسطين ورأينا اليهود ينسبون لانفسهم كثيرا من مفردات هذا التراث الفلسطيني فاخذ العالم يتعرف عليه على انه (عبري)، والصهاينة لا يعملون في هذه الناحية في صمت وانما من خلال دعاية اعلامية نشيطة وواسعة الانتشار.. سطا الصهاينة على الحان فلسطينية ثراثية ونسبوها لانفسهم وفأزوا بجوائز عالمية، ودخلوا في منافسات في فنون الرسم والتطريز والنقش وكل ما يتصل بثراث المدن القديمة من نحت وهندسة معمارية واسلوب زخرفة واحدثوا لذلك متاحف خاصة وطافوا مهرجانات عالمية بمقتنيات فلسطينية ونقبلوا في الاثار وعبثوا بموروث الاف السنين وامتدت ايديهم الى نصوص قديمة ونقوش حجرية وعرفوا كيف يزورون ذاكرة الشعوب لالغاء كل ما هو فلسطيني ووضع ملامح (عبرية) مكانه..

• ولهذا فان بعث هذا اللوبي الثقافي اصبح ضرورة للوقوف في وجه هذا الزحف الذي يتصل بالذاكرة والعقل الانساني..

• صحيح ان هناك جهودا عربية كبيرة يقوم بها مثقفون ومفكرون عرب لتصحيح هذا

التزوير ولكن الجهود ما تزال حتى الان جهودا فردية ومع جلال انجازاتها حتى الآن الا انها عندما تنتظم في فريق جماعي ستكون نتائجها اكثر اهمية، لأن الفريق او (اللوبي) الذي يجب ان يبعث ستكون له خطة علمية شاملة وهو يستطيع ان يوظف وان يستثمر امكانياته لتلاحق أي عبث صهيوني كيفما كان واينما كان، وبطبيعة الحال هذه المهمة لا تنهض بها الا مؤسسة مؤلفة من عشرات بل مئات العناصر المتفرغة في شتى المجالات تتاح لها الامكانيات المادية السخية والوسائل الحديثة التي تحقق التأثير والانتشار. فلو كان ادوارد سعيد يعمل من خلال مؤسسة او كان عبد الوهاب المسيري كذلك لكانت انجازاتهم تفوق هذا الحجم الذين نراه الان على اهميته وضخامة حجمه. ان ادوارد سعيد الذي يعمل الآن منفردا في التصدي للمغالطات التاريخية والثقافية التي ينشرها الصهاينة استطاع ان يبرز كاحد المفكرين الافذاذ الذي اقضوا مضاجع الصهاينة فطاردوه وسخروا امكانيات هائلة للحد من انتشاره والتشكيك في انجازاته واثاروا حوله زوابع من السخط ومع ذلك يظل صامدا يحترمه الغرب ويوفر له المنابر ليقول ما يشاء لانهم احترموا تفكيره العقلي المتخلص من الضجيج العاطفي والسطحية الساذجة ولعل نفس الشيء ينطبق على الاستاذ عبد الوهاب المسيرى الذي انجز أهم الموسوعات العصرية عن اليهود مصححا المغالطات وتشويه التاريخ وهناك عشرات آخرون ينهضون بنفس الرسالة الجليلة ولكنهم مشتتون يعملون بدون رابط يجمعهم، لذلك فان قيام (لوبي ثقافي) بنفس مفهوم (اللوبي) للضغط وخوض الصراع والتصدي في مجالات الاداب والفنون والثقافة والتاريخ اصبح ضرورة واذا نظرت الاقطار العربية النفطية منها بالذات الى هذه القضية نظرة جدية فهي قادرة على تبنيها بالانفاق المطلوب على مشروعاتها بدون ان يشكل هذا الإنفاق ارهاقا او عبئا عليها.. فهل يسمعون؟

الولد الذي مات

■ «دُمكَ الموعدُ.. دَمكُ المشهدُ .. دمك المسألةْ .. فانتغص في الغياب تلتوي المقصلة»!

اقف حائرا واتوقف عن الكتابة تماما لا بسبب العجز ولكن بسبب الضجر.. الكلمات القصيرة أعلاه محاولة لكتابة قصيدة إلى الولد الذي مات برصاص الغدر الإسرائيلي، محمد الدرة، ولكني لم أزد على المطلع كلمة واحدة، أحسست بان الشعر لم يعد له معنى والكلام باطل، وحده الدم هو الذي يقول الآن..

● **فحين** يدمدم الرصاص ويسيل الدم تصبح الكلمات ثقيلة على اللسان وعلى القلم على حد سواء.. يصبح الخواء والضجر هو سيد الموقف بالنسبة للذين هم على بعد الاف الأميال من ارض الموقعة.. تراهم على الشاشات الملونة يقاتلون وترى دبابات العدو تدك البيوت الآمنة وترى الصواريخ تمزق الهواء والطائرات المغيرة كأنها في حمى وطيس الموت عقبانا سوداء انشقت عنها مقابر التتر وترى «هولاكو» يعود من جديد لباسه العسكري من ألوان العلم الأمريكي وعلى خوذته السوداء نجمة ذات شوكات سداسية نافر وجهه باحقاد القرون المظلمة متعطش للقتل وإشعال الحرائق.

● **أنت** هنا على بعد آلاف الأميال تحصي الساعات والأيام عدد الشهداء وتحاول الكتابة، ولكن ما فائدة الحبر والورق في زمن الرصاص.؟

● **تحاول** أن ترى من خلال المحطات الرسمية والجرائد التي تنطلق بلسان حكومات هذه الأمة فلا تجد سوى المنشتات العريضة والتصريحات اللاهبة ثم يعود الصمت كما في المقابر باردا وثقيلا، وتتناهشك مشاعر اليأس.. ضُربت الذلة على قلوبهم يرون الموت يحصد مئات الارواح التصفية الجسدية المبرمجة فلا يزدادون الا تلكؤا وملالة يتمطون من كسل ويمسحون عن عيونهم آثار سهر الليالي الطويلة فتتذكر قولة الجواهري العظيم ليلة العدوان على المدن الليبية:

في ليبيا حمم وعندهُم

ما يشبع اللذات من حمم

وتشبه الليلة بالبارحة وتباغتك في السكون صور صبرا وشاتيلا ودير ياسين وبحر البقر وقبية بينما تقتحم ذاكرتك أبواق الدعاية وهي تعزف على النغم المعتاد تضع اللوم على الفلسطينيين وتصفهم بانهم اعداء السلام رغم اصوات الفزع في غزة والانفجارات في مدن الضفة ورغم الدبات والطائرات والصواريخ والمدافع وكان السلطة الفلسطينية هي التي تمتلك هذا الجيش وهذه الاسلحة الرهيبة وتتسلى بانهار الدم الفلسطيني التي تغطي الشوارع .. وتصرخ وحدك:

■ **أيها الطفل الذي مات لماذا لم نمت نحن بدلا عنك؟**

● **أيها** الطفل الذي مات، المعذرة فأنا موجع القلب ومنكسر ولا استطيع الكتابة، فلك الورد والعنبر والمسك وأنت مسجى ولنا هذا الزمن الكسيح، هذه الايام الضريرة.. لقد باغتتك رصاصة جاءت من الخلف وانت تغدو الى المدرسة. وعندما انتفضت كالعصفور الذبيح ولولت عشرات الأمهات التكالي في فلسطين، لكن الصمت العربي مع ذلك يتذرع بالصمم ويوغل العمى متذرعا بالغشاوة وتظل طبول القارعة تدق عبر نشرات الاخبار..

● **ستظل** الصرخة المكلومة.. ((الولد مات))، والتي نفذت من المسافات البعيدة وطافت على العرب المسربلين بالعزلة والحكام الرافلين في أمانهم الشخصي وعلى العالم الذي يصغي للاكاذيب والتضليل، ستظل هذه الصرخة نافوسا وشارة ووخزة في الضمير، وسيظل دمك مشتعلا وحده مثل زيت القناديل امام ابناء فلسطين الشرفاء شاهدا على ان الارض السليبة لا تعود الا بالشهادة وبدل الروح وان كل طفل يولد في فلسطين سيكون محمد الدرة..

التنمية أو لا شيء

■ **هذه الفوائض المالية التي يحققها الارتفاع الطارىء في اسعار النفط اين ستذهب يا ترى؟**

● سؤال لا يستطيع المرء ان ينساه وهو في غمرة حماسه دفاعا عن حق الدول المنتجة في التصرف في سلعتها الإستراتيجية هذه طبقا لقانون السوق والعرض والطلب الذي يسود منطق فلسفة الاقتصاد الحر الذي يدعو له العالم الحر..

● **تم مليارات** كثيرة ستعود على المنتجين مقابل هذه الطفرة المباغتة في الاسعار فهل ستذهب هذه المليارات الى برامج التنمية وخططها في البلدان المنتجة ام ستذهب الى الجيوب فيزداد الاثرياء ثراء ويزداد الفقراء فقرا وساعتها يصاب المدافعون عن زيادة الأسعار بالاحباط والندم والشعور بالذنب لانهم ساهموا في تعميق الفروق الطبقية بين البطر والاقتراء على الله وبين البؤساء الذين يعيشون على الرغيف الحاف او يبيتون على الطوى؟

■ **مسألة مؤرقة فعلا..**

● **فالدول الغنية** (نفطيا) لا تزال تتخبط حتى هذه اللحظة في مسألة التنمية، ليست لها برامج مدروسة للانفاق على مشروعات جادة تعود بالرخاء على مواطنيها وتنقلهم من حالة الفقر الى حالة اشباع الحاجات او تحارب التخلف وتنفق على البنى التنمية والاساسية، وعلى الرغم من ان عمر هذه الثروة يبغ حتى الان عدة عقود فهي ما تزال دولار متخلة تعانى من مختنقات كثيرة وفوضى لا حدود لها، ولعلنا لا نبالغ كثيرا اذا قلنا بانه عندما يزيد حجم الثراء لديها يزداد في تناغم مطرد عدد اللصوص والآفاقين والمختلسين والمهربين ومصاصي دماء الناس فتتكوم هذه العوائد في حسابات خاصة وتذهب بطرق ملتوية الى اصحاب الكروش بينما يظل البؤساء يعانون في القاع لا يجدون تعليما جيدا ولا علاجا جيدا ولا حياة ميسورة تتوفر فيها الحاجات الضرورية التي تحفظ عليهم كرامتهم وفي بعض هذه البلدان التي تحولت مع الزمن الى ضرائب تشبه ضرائب القرون الوسطى تشكو الملايين من شطف العيش بينما ترى قلة محظوظة تتمتع بكل شيء وترفل في النعيم حتى أذقانها ويتشأ في ظل

هذه الفوضى حقد طبقي وامراض اجتماعية فتنعدم المعايير وتختل الموازين وتتحول الحياة الى كابوس طافح بالأوبئة والجريمة والممارسات المعوجة ويسود سلوك غريب خارج نواميس الطبيعية تأكل فيه الاسماك الكبيرة الاسماك الصغيرة ويرضع الطفل الصغير مع حليب تلك الحكمة الخالدة التي تقول: اذا لم تكن ذئبا اكلتك الذئاب. وفي مجتمع الذئاب لا تقوم لأي شئ قائمة ويعم الفساد الذي تنفلت فيه الامور فلا تستطيع أي معجزة بعد ذلك ان تسيطر عليه اذ ان تتداركه حتى ولو فكرت في ذلك بعد فوات الاوان..

● **فالثراء** الذي تحققه عائدات النفط ويزيده ارتفاع الاسعار ضخامة من حين الى اخر يجب ان ينفق على التنمية، واذا لم تدخل الدول المنتجة بكل قوتها في خضم التنمية وفق رؤية عصرية وبناء على تخطيط علمي فان الحال سيكون دائماً مصدر تشاؤم لا حدود له. ورأسمال الدولة هو وحده القادر على ادارة الحياة الاقتصادية بكل حيوية ودفع عجلة الاقتصاد الوطني الى الامام فلا معنى لتجميد هذه الاموال والعوائد تحت أي مبرر كان لانها عندما تدور وتتحرك وتوظف في مشروعات تنموية فستكون في هذه الحالة قد فتحت افقا للتقدم والازدهار وهي في هذه الحالة ستنمو ولن تنقص بل ستتراكم منتجاتها الوطنية والاستثمارية بعد ان تكون قد ساهمت في امتصاص الفقر والتخلف والبطالة وبعد ان تكون قد حاربت الجهل وانتشار الامراض والاوبئة وبعد ان تكون قد بنت صروحا اجتماعية تمتص الحقد والنقمة واليأس وعالجت النفوس التي خربتها الفوضى واعمتها الممارسات التي تختل فيها الموازين..

● **وعندما** تدخل هذه الدول المنتجة بكل ثقلها في خضم الانفاق على التنمية سيكون هذا الموقف اول خطوة في بناء المجتمع السوي الذي تنعدم فيها الجريمة ويسود فيه الامن والرضى الايجابي اذا جاز هذا التعبير.

● **من هنا** فان دفاعنا عن حق المنتجين في تسويق ثروتهم الوطنية بالسعر الذي ينصفهم لا يعمينا في نفس الوقت عن عيوب الثراء (الرسمي) وامراضه وقصور رؤية اصحابه لحقيقة الواقع العليل الذي تعيشه شعوبهم المحروقة، لقد نسينا ونحن نصاب بمرض النسيان كثيرا ان الغرب كان يصورنا دائما باننا اثرياء وجهلة وما اكثر ما اظهرنا على شاشات العرض باننا مجرد جمال تجر خلفها سيارات الكاديلاك في اعماق الصحراء وحتى نتخلص من سبة (البعير) ونكون مقنعين في عيون الاخرين علينا بالتنمية ولا شئ غير التنمية وفورا يجب ان توظف فيها المليارات المكتنزة او التي تهدر في ملاهي العالم.

على الخير والعدل والسلام

مائة وعشرون مليون مواطن نيجيري ليسوا عبيدا في مزرعة الخنازير التي يملكها بيل كلينتون.. الرئيس الامريكي الذي يستعد لمغادرة البيت الابيض لا يستطيع ان يفرق بين كرم الضيافة الافريقي وبين التهافت على مائدة الهامبورجر في شوارع البيض، وهو لذلك قد يغادر القارة السمراء وهو يعتقد بانه وضع ابناء احد الاقطار الافريقية الذي يحتل ثقلا في الثروة وثقلا في السكان في جيبه.

على ان شهية الرئيس الامريكي لم تنفتح للذهاب الى القارة مخاطرا بتعريض نفسه للسعة محتملة من باعوض المستنقعات الا لعد ان انبعثت نداءات جادة هذه المرة الى الوحدة الافريقية، وهرع ابناؤها للتفكير في حشد طاقاتهم الخاصة تحسبا للمستقبل، فخشي الرئيس الامريكي ان تتسرب بعض الشعوب من قبضة يده مثلما يتسرب الماء وهو أراد ايضا ان يترك اثرا، او ان يخرب في اثر، فالامر سيان بالنسبة له، كسب جولة او تخريب جولة خصومة على الاقل، وتلك هي الدعاية السوداء في حرب الصراعات بين العدل والمقاصد المشبوهة بين البحث عن الخلاص وتكريس التبعية، بل ربما كان كلينتون يريد ان يقدم شعبه قبل المغادرة هدية هي التحريض على زيادة انتاج النفط لتهبط الاسعار وخصوصا ونحن على ابواب الشتاء، وفي هذه الحالة يضرب عصفورين بحجر واحد، ان يخدم الشركات الرأسمالية الكبرى وان يوفر لزوجته هيلاري فرصة النجاح في انتخابات مجلس الشيوخ، فماذا يفعل وهو ليس لديه الولد ليورثه البقاء خليفة له في البيت الابيض مثلما يفعل الآن سلفه بوش..

لكن كلينتون مع ذلك كله لا يقيم وزنا لحسابات اخرى مهمة، فهو يعرف جيدا هدفه وهو في نفس الوقت يصنع اذنا من طين واذنا اخرى من عجين امام مطالب الآخرين حتى ولو كان ذلك من قبيل تبادل المصالح او الحفاظ على التوازنات، فعندما تثار امامه مسألة تخفيض ديون القارة اذا لم يكن في الامكان الغاؤها فسيكون في هذه الحالة (اطرش)

تماما، وهو قادر على اتخاذ مظهر الممثل البارع والدبلوماسي المحنك، حسين يسأل عن امر الديون يتحدث عن اعتدال الجو وطيب المناخ في القارة الغنية بمفاتن الطبيعة.

ولا اعتقد ان الصحف الافريقية غافلة الى درجة انها لم تنشر ذلك الخبر المفزع الذي نقل رفض شركات صناعة الادوية الامريكية انتاج ادوية لمكافحة مرض فقدان المناعة المكتسب يكون سعره لقدرات الانسان الافريقي الشرائية، وعرضت بدلا من ذلك تقديم قروض للدول التى تحتاجها حتى يكون في امكانها دعم اسعار هذا الدواء بما يعنى الامعان في اثقال الدول الافريقية بمزيد من الديون واغراقها في المستنقع الربوي الذي تصر عليه امريكا، فهي في رأيي ارضية مناسبة تفرش طريق زيارة كلينتون وحتى لا يستغل كرم وظيفيه ويزيد من مكابرته في عدم الاعتراف بالمواقف المجحفة حتى عندما يكون الامر متعلقا ببناء هكذا علاقات او مد هكذا جسور..

صحيح ان الاستقبالات في نيجيريا بهرتنا جميعا ولكن اعود فاقول بان المائة وعشرين مليون مواطن نيجيري ليسوا عبيدا في مزرعة الخنازير التى يملكها السيد الرئيس، فهم كرماء نعم، ويحسنون استقبال ضيوفهم نعم، وهم اكثر من ذلك يحسنون تقدير المصالح المتبادلة والتعاون المشترك ولكن عندما يكونان مبنيين على الاحترام وعندما تكون هناك عدالة في تقدير الامور والنظر اليها في حجمها الطبيعى وليس من فوق، في مظاهر التعالي والعجرفة، وافريقيا لا تعادي امريكا او تضع فيتو على التعاون معها من موقف التعصب الاعمى، وعلى العكس من ذلك تماما، افريقيا تتمنى ان ترى انفتاحا امريكيا شريفا على افاق التعاون المثمر الذي لا يخضع لحسابات خاطئة او مختلة ومتى تفكرت امريكا في هذا الامر جيدا وتخلت عن التعالي وعقدة الرجل الابيض الذي يتقزز من اصحاب اللون المختلف فستجد الف يد تمتد اليها على الخير والعدل والسلام.

اطباء ولكنهم مجرمون!

• ان يكون هناك هذا العدد الهائل من الاطباء المنحرفين فى امريكا فهو امر مفزع حقا، عشرون الف طبيب مرضى نفسياً ومهووسون جنسيا ومصابون بالشذوذ وعليكم ان تتخيلوا مدى البشاعة عندما تعلمون ان احد الاطباء استخدم رجل مريض مبتورة لصيد سرطان البحر.

وتفجير هذه القضية جاء من طرف جماعة الدفاع عن المواطن العادي فى امريكا نفسها.. لقد نشرت هذه الجماعة فى كتابها السنوي لعام 2000 اسماء 20125 طبيبا و28 الف مخالفة ضدهم وقال الطبيب سيد وولف ريئس قسم الابحاث الطبية فى الجماعة لقد وجدنا ان 90 ٪ من هذه المخالفات هى جرائم خطيرة..

والعجيب فى الامر ان اقل من نصف الاجراءات التي اتخذت ضد هؤلاء الاطباء كانت جادة هكذا يقول التقرير الفضيحة!

• ومع ان المجتمع الامريكي هو مرتع الجريمة نتيجة للتناقضات الهائلة التى تمسك بخناقه وخناق المجتمعات الرأسمالية بشكل عام الا ان قطاعا انسانيا هو قطاع الطب كان المرء يتصور انه سيكون بمنأى عن هذه الجرائم.. ومع ان احتمالات الاخطاء واردة لدى ممارسة هذه المهنة الا ان الاخطاء التى يتحدث عنها التقرير هي جرائم وجرائم حطيرة ايضا، ضد الاخلاق وضد شرف المهنة وضد انسانية الانسان..

• وثمة احتمال قائم دائما فى أي مكان فى العالم ان يتسلل الى هذه المهنة الشريفة اشخاص مرضى ومنحرفون ولكن ليس بهذه الكثرة فعشرون الفا من بين سبعمائة الف طبيب هو عدد هائل بحق وما هو خطير فى هذه الظاهرة الا تكون هناك اجراءات رداعة لمعالجة هذا الامر بل ان اغلب هؤلاء لايزالون يمارسون المهنة جهارا نهارا بدون ان يتحرك الضمير المتمدن جدا في امريكا ضد هذا الاستهتار وهذا الامعان فى العبث وارتكاب الرذيلة ضد الضحايا الضعفاء من المرضى..

• وليست هذه (الكارثة) مناسبة للتشهير بالمجتمع الامريكي هكذا كيفما اتفق، فهذه ثوابت تصرخ بها هيئات اهلية امريكية تدافع عن حقوق المواطن العادي وتطالب الكونغرس

ان يسن قوانين صارمة لمواجهة الواقع واقرار التشريعات التى تحمى المواطنين.

• ولا احد ينكر التقدم الهائل الذي حققه الطب فى امريكا فى القضاء على الامراض الخطيرة ومكافحة الاوبئة الفتاكة ولا احد ينكر الجهود العلمية التى تبذل فى مجال الابحاث لاكتشاف وسائل القضاء على اخطر ما تواجهه الانسانية من امراض، ولكن تناقضات المجتمع الامريكي الحادة هي سبب هذه الانحرافات التى تواجهنا بها الاخبار من حين الى اخر فتفجعنا فى الصورة التى نحاول ان نكونها عن المجتمعات المتقدمة ولا نريدها ان تهتز كل مرة بهذا العنف في المجالات الانسانية على الاقل، ومن واجبنا ان نكون دائما الى جانب الدعوة من اجل تنقية خريطة الواقع من البقع السوداء التي تلطخ صفحته..

• ولا مجال للشك في ان مجتمعات اخرى كثيرة موبؤة بهذه الانحرافات بل ربما يكون هناك ما هو امر وادهى حين تسكت تلك المجتمعات على ما لديها من اخطاء من هذا القبيل وتحاول اخفاءها بكل الطرق.

• وثمة فضائح جلجلت فى فترات كثيرة في مجال الطب بالذات فى اماكن متعددة من العالم ليس اقلها مثلا مسألة تصدير وبيع الدم الملوث وتصدير الادوية الفاسدة الى بلدان العالم الثالث واتخاذ الاطباء من المرضى حقولا للتجريب والتمرين بل ان ثمة اطباء من جنسيات مختلفة ارتكبوا جرائم بشعة ضد الانسانية فى السجون والمعتقلات وفى اثناء الحروب وفى اثناء الحملات الظالمة ضد حركات التحرير ومارسوا كل ما هو مشين وبشع وضد شرف المهنة، كل هذا صحيح ولكن ما من جريمة يمكن ان تبرر وقوع جريمة اخرى وما من خطأ يمكن ان يدفع الى التسامح ازاء خطأ آخر لا حق او شبيه..

وامريكا اصبحت على مرمى حجر بالنسبة لاي موقع على خارطة هذا الكون، وما أكثر الذين يلجأون اليها ينشدون الشفاء فكيف يكون الحال اذا اصبحت مهنة الطب فيها محاطة بهذه الشكوك والتوجسات.. كما ان صرخة لجنة الدفاع عن حقوق المواطن العادي فى امريكا تستحق المؤازرة في حملتها ضد الانحرافات التى وضعت يدها عليها بالادلة القاطعة والشواهد والبراهين..

• ثم ان هناك قضايا انسانية مشتركة لا يجوز السكوت عنها او مقابلتها بسلبية، فوجود عشرين الف طبيب يمارسون الجريمة ضد مهنة الطب الامريكية حسب ما جاء فى هذا التقرير مسألة تهز الضمير الحي.

تحية لمدينة مبارك العلمية

• افتتاح مدينة مبارك العلمية في الشقيقة مصر حدث يستحق التحية فهو يمثل بكل المقاييس تلك القناعى العربية التى اخذت تتجسد الآن بشكل او باخر باهمية العلم في حياتنا وبانه بدون الاتكاء على العلوم لا يمكن اللحاق بالعصر الذي تجاوزنا واخذ يصنع بيننا وبينه مسافات فاذا لم تتدارك انفسنا فسنكون مهددين بالعزلة والتخلف والانفصال عن الآخرين، وكون هذا المشروع الهام يقام في مصر فان ذلك ايضا مما يضفي عليه جدية ويحيطه بالتفاؤل والامل.

• فمصر مكتظة بالعلماء الذين نبغوا في كل العلوم وساهموا في حركة البحث العلمي وحققوا مكانة عالية مومرقة، وفي مصر علماء اجلاء كانت لهم مساهمات اساسية في كثير من الاكتشافات والاختراعات العصرية وفي مصر نابغون استطاعوا ان يحصدوا جوائز عالمية كثيرة بفضل جهودهم المتميزة وجائزة نوبل التي منحت في العام الماضي للعالم المصري احمد زويل على اكتشافاه للفمتو ثانية خير شاهد على ما تقول على الرغم مما احيط بهذا العالم من كلام في مصر نفسها من كونه يحمل جنسية اجنبية وكونه شارك في بناء مراكز علمية في اسرائيل وكونه هو ثاني مصري يخطب في الكنيست الاسرائيلى بعد السادات وكلام كثير آحر لا ينفي عن احمد زويل كونه مصري الجذور والنشأة والنبوغ، ولو كانت في مصر امكانيات البحث العلمي المجهزة بكل وسائل البحث وبكل رعاية الدولة للمناخ يوفر حرية العمل ويخلصها من المكتبية المتخلفة التي دفعت احمد زويل الى الهجرة ويحقق هذه المكانة العلمية وهو خارج وطنه ويحمل جنسية غير جنسيته بل ويتخذ مواقف يمتعض منها كل عربي بهذه المشاركة مع اعداء الوطن وهذا التجرد من كل مشاعر الانتماء.

• وتأسيس مدينة مبارك العلمية تتدارك كل الاخطاء القديمة وهي خطوة ستضع حدا، فيما نأمل، للنزيف الحاد في هجرة العلماء المصريين للخارج وخسارة هذه الثروة القومية الهائلة التي تتبدد يوما بعد يوم.

• والاحساس بخطورة هجرة العلماء العرب الى الخارج احساس قديم، بل ان مبادرات كثيرة بذلت هنا وهناك للحيلولة دون استفحال هذا الخطر ربما يكون من ابرزها ما قامت به ليبيا في هذا الاتجاه حين اسست (معهد الانماء العربي) في اطار مشروع طموح يهدف الى توطين هؤلاء العلماء ووضعت مخططا كاملا لبناء مدينة علمية مجهزة على ارقى مستوى وقطعت في ذلك شوطا كبيرا واستعانت بابرز العلماء العرب في التخطيط لهذا المشروع وتطورت الفكرة الى تأسيس ما يسمى في ليبيا (بالهيئة القومية للبحث العلمي) ولكن المشروع الليبي تعثر وهو في الطريق بسبب ظروف ليبيا والمعارك الظالمة التي فرضت عليها واستغرقتها هموم اخرى استأثرت بالاولوية عندما وجدت نفسها مستهدفة ووجدت ثورتها في خطر على النحو الذي يعرفه كل العرب المتابعين لتطور الاحداث التاريخية طوال ما يقرب من ثلاثة عقود، وهكذا تحول معهد الانماء العربي الى مجرد دار للنشر وتحولت الهيئة القومية للبحث العلمي الى مؤسسة تكاد تكون اقليمية تبذل جهودا ولكن في الاطار الداخلي الضيق، وفي العراق ثمة (مجالس البحث العلمي) وهي مؤسسة قومية يفترض انها تنسيق بين كل جهود البحث العلمي في الوطن العربي لكن هذه المهمة تظل مهمة ادارية بحتة، ولابد ان في العراق مؤسسات علمية كبيرة، ففي العراق ايضا علماء ومخترعون ومكتشفون وان كان الامر لا يخلو من هجرة ونزيف علمي لابد ان له اسبابه ومبرراته الموضوعية.

• لقد كتب الاستاذ الدكتور عبد العظيم انيس معلقا بروح العالم على فوز الدكتور احمد زويل بجائزة نوبل العالمية التى حصل عليها فتذكرت على الفوز حالة الدكتور عبد العظيم نفسه عندما كان استاذا للرياضة الجتة في احدى الجامعات البريطانية لكنه ترك كرسي الاستاذية وعاد الى وطنه بمجرد ان وقع العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 فماذا يا ترى حصل لهذا العالم الجليل والمفكر والناقد الذي ما يزال المثقفون العرب جميعا يذكرون ذلك الكتاب الذي وضعه بالاشتراك مع الاستاذ محمود امين العالم وهو كتاب (في الثقافة المصرية)؟

• لقد استقبلته مراكز القوى في مصر ووضعته خلف القضبان ولم يشفع له لا الموقف النبيل ولا المكانة العلمية ولا المكانة الادبية وظل في السجن الى ان اوشك ان يفقد بصره ولولا لطف الله فلا احد يستطيع ان يتنبأ اين كان يمكن ان يكون الآن!

• افتتاح مدينة مبارك العلمية خطوة جليلة تستحق التحية ولا شك، وهي مناسبة للدعوة الى قيام خطوات اخرى جادة في كل انحاء الوطن العربي للانفاق بلا حدود على العلم والعلماء وتسهيل وسائل البحث وتأسيس مدن مماثلة، كما انها مناسبة ايضا لتنقية اجواء العمل والابداع والاجتهاد بلا قيود وبلا تسلط وبلا ملاحقات تبث طوال نصف قرن انها ظالمة وانها عرقلت النهضة العربية واجلتها ضعف هذا العدد من السنين. ولن يزدهر البحث العلمي ولا أي نشاط انساني اخر ما لم تترسخ الديمقراطية اولا..

مطمورة في لفائف التردد

● في ليبيا ساحل طوله الف وثمانمائة كيلومتر.. وفي ليبيا صيف لا ككل الصيوف.. فهو يدوم تسعة أشهر في العام أما الثلاثة الباقية فهي ربيع.

● **فأما** الشاطئ فذو رمال ناعمة تستهوي خلق الله ممن يحبون الطبيعة والبحر، وأم الصيف فهو فاكهة الاوربيين المحرومين من حرارة الشمس ودفء الهواء العليل.

● وفي ليبيا اثار عظيمة ومدن أثرية لا مثيل لها في حوض البحر الابيض المتوسط، وفي ليبيا شواهد على تاريخ حافل بالاحداث التي مرت عليها عصور وقرون وعقود.

● وفي ليبيا صحاري غنية بالقصص والروايات والاساطير، وما أعجب الا من كيف لم تستغل ليبيا كل هذه الثروة في انشاء (صناعة) سياحية تدر عليها الاموال الطارئة من العملات الصعبة.

● **لعل** الناس في ليبيا لم يلتفتوا من قبل الى هذه الكنوز المطمورة في لفائف الصمت فلقد حباهم الله ثروة اخرى هي ثروة النفط، وهذه نعمة يشكرون عليها الله كثيرا وهي افادتهم في الانفاق على التنمية واستكمال البنى التحتية ووضع اساسات عديدة لنهضة تساعد على الخروج من التخلف ولكن الثروة الطائلة التي تحققها السياحة كمورد اضافي ستشكل اذا التفتت اليها ليبيا قفزة تنموية كبرى بدون الاعتماد عل مورد واحد يتيم وحده، قد لا يحقق كل الطموحات.

● **وقد** سبق ان دعوت مرة الى تقسيم الساحل الليبي على شكل حقول امتياز مثلما حدث بالنسبة لحقول النفط ودعوة الشركات العالمية الكبرى الى بناء منتجعات عصرية حديثة، تترك للمناطق الساحلية الآهلة بالسكان متنفساتها الخاصة بحيث يتمتع اهلها بحقهم في الاستمتاع بالبحر وتتم الانشاءات الجديدة في الفضاء الواسع الذي يمتد من رأس جدير غربا الى طبرق شرقا والاعلان عن هذا المشروع عالميا واذا حدث ذلك فستتدفق على ليبيا كبريات الشركات الاستثمارية وستحقق قفزة اقتصادية نوعية هائلة.

• **لقد** كانت هناك من قبل خشية من الاستغلال والاحتكار وكلام كبير يقال في هذا الصدد، وهذا الكلام كان يمكن ان يكون مقبولا قبل ان تحقق ليبيا بعد الثورة حرية قرارها وتصبح السيطرة على مواردها وثرواتها الطبيعية في يدها أما الآن فهو كلام لا يقال الا من قبيل المزايدة التي لا معنى لها. فالانفتاح على الاستثمار العالمي يحتاج حقا الى ضمانات والى استقرار في الرؤية للناحية الاقتصادية والى مرونة في الاجراءات والاتصالات وبناء العلاقات والتبادل وفق مقصيات العصر وهذا امر طبيعي ولا احد يعترض عليه، فلماذا اذن هذا التردد في بعث الاستثمار السياحي العالمي؟

• **واذا** تم تخطيط الساحل الطويل على شكل حقول امتياز فما الذي يمنع من تخطيط مساحات اخرى في الصحراء بنفس الاسلوب، الصحراء تستهوي آلاف بل مئات الآلاف أو ربما الملايين من السواح، ولنا أ نتصور ثروة حقيقية يمكن أن تتدفق على الخزينة العامة اذا تم الدخول الى هذا المشروع بجدية وعلى أساس التخطيط السليم.

• **ان** ليبيا في إمكانها أن تقف ندا في مجال السياحة لبلدان كثيرة في حوض البحر الابيض المتوسط وهذه البلدان لا تملك عشر ما لدى ليبيا من عناصر أساسية لبناء هذه الصناعة. والسياحة أصبحت ثقافات وفنون وعلوم الى جانب المتعة والاطلاع والتسلية البريئة. وهي رواج اقتصادي تنعكس اثاره على الحياة والناس، هناك مشروعات فردية صغيرة قائمة الآن وهي مشروعات تستحق التشجيع والدعم ولكن المشروعات الكبرى تحتاج الى الملايين فما الذي يمنع من فتح بابها أمام شركات لها تجربتها ولها باعها الطويل في هذا الميدان؟

السم في الدسم

اصحاب الضمائر الخربة يجدون دائما الحظيرة التي تجمعهم وسواء اكان هؤلاء من الشرق او من الغرب فانهم لا يرتاحون الا مع بعضهم، ثمة رائحة خاصة تجذبهم الى نفس المكان حيث يمارسون افعالهم في غيبة أي وازع، ومن اين يجيء الوازع وهم اصلا بلا ضمائر؟

ومن خلال رائحة الخنازير هذه تدفقت الاغذية الفاسدة على بلدان العالم الثالث قادمة من الغرب المتمدن، ملوثة بالاشعاعات ومنتهية الصلاحية ولا تصلح للاستهلاك الادمي كل هذا لا يهم مادام التجار في الغرب يصادفون في الشرق وفي البلدان المتخلفة الاخرى نظراء لهم على استعداد للاستيراد بابخس الاسعار لا تهمهم مصلحة شعوبهم ويطرحون هذه السموم في الاسواق ويجمعون الملايين ويضخمون ارصدتهم على حساب ابناء جلدتهم المساكين ولا تطرف لهم عين اذا امتلأت المستشفيات وازدحمت المقابر بجثث الضحايا..

تشترك هذه العصابات المتوحشة فى التزوير، تزوير شهادات الصلاحية وتزوير شهادات المنشأ وتزويد الشهادات الصحية وخلقوا في مجالات نشاطاتهم مجتمعا كاملا للرشوة وشراء الذمم والعمولات العالية وتسللوا كالسرطان الى اجهزة الامن واجهزة رقابة الحدود ودوائر القضاء ومؤسسات معامل التحليل وتدخلوا في حركة العقول الالكترونية وامتدت سوالف الموت التى يتحكمون فيها الى ادق الاحتياطات التي تضعها الدول ونفذوا بالسموم التي يحملونها بالاطنان وامتلأت بها الاسواق حتى بأت الانسان يخشى على حياته في كل لحظة كلما فتح فمه وحاول ان يتناول لقمة يسد بها الرمق وافلحوا في نشر الرعب الذي يتنفسه الناس مع الهواء منذ ان يفتحوا عيونهم في الصباح الى ان يغلقوها في الليل مستسلمين لنوم لا يرون فيه الا الكوابيس.

لقد حملت رياح السموم التي جاءت في اعقاب انفجار مفاعل تشرنوبيل في روسيا قبل سنوات الاشعاع الذري الى كامل اوروبا فلوث كافة المحاصيل من قمح وشعير وحبوب

اخرى عديدة الى الخضروات والفواكه الى المواشى والحيوانات والاعلاف وكل نبات مصنع وغير مصنع فتلوث الحليب والجبنة والزبدة وكافة الاغذية الاخرى التي كانت على وجه الارض ايام تلك الكارثة فقفزت اوروبا الى اتخاذ الاحتياطات التي تحمي مواطنيها واستخدمت ارقى ما لديها من وسائل التقنية لوضع رقابة على المواد التى يستهلكها اهلها، ولكن هذه المحاصيل تساوي الاف الملايين فهل يمكن التضحية بها بسهولة والقاؤها في البحر وهي احدى دعامات اقتصادها الهامة؟

وللحقيقة لم تكن القوانين الاوروبية تسمح بتداول هذه المحاصيل لا للتصدير ولا للاستهلاك المحلي ولكن السماسرة اصحاب الضمائر الخربة وجدوا في هذا الموقف فرصتهم الثمينة فانتشروا في كل انحاء العالم الثالث يبحثون عن مشترين، فالتقوا بنظائرهم في نفس الحضائر وتمت الصفقات ونشأ التعامل في الظلام وفتحت الابواب على مصراعيها للثراء الفاحش وللمتاجرة في ارواح الناس وعبرت السلع الفاسدة من خلال تعاملات فاسدة، وتساقط الضحايا وانتشرت الاوبئة والامراض الخطيرة وارتفع الانين في كل مكان وانتشرت الشكوى، وصارت سلطة الاموال اقوى من سلطة الحكومات في اوروبا نفسها التى لا يعقل بانها لا تنتبه الى ما يجرى من وراء ظهرها الى هذا الحد، وتحولت الظاهرة الى واقع قائم له قوانينه الخاصة وتقاليده الخاصة وصرنا نقرأ عن صفقات الدجاج الفاسد واللحوم الحمراء الفاسدة والاسماك الفاسدة والحبوب الفاسدة والاعلاف الفاسدة وربما كان هذا الواقع الذي فرض نفسه بالقوة مشجعا للحكومات الكبرى في ان تزين الطريق من طرق خفي للصفقات المشبوهة وليست مشاجرات لحوم البقر المصاب بالجنون ببعيدة عن الاذهان.

الضمائر الخربة تلتقي في الزريبة وتجتذبها رائحة الخنازير نحو بعضها وتتآمر على حياة الناس ولا يهمها سقوط الضحايا فالكسب الخرافي الذي يلوح امام ناظريها اقوى من أي شيء والجشع الذي يحكم تصرفات اصحابها هو صاحب السلطان على سلوكها، فاين يذهب الضعفاء؟

ما اكثر الامتحانات التي سقط فيها ضمير الغرب ملوثا وهو يدعي البراءة، متعاليا علينا في عجرفة.. وما اقوى الحروب التي يجب ان نخوضها نحن ضد منعدمي الضمير من ابناء جلدتنا..

الحاجة الى مرشحات بصرية

• ... وايضا الصحفي، والصحيفة الجادة اللذان يؤديان رسالتهما بمسؤولية يحتاجان الى مرشحات كثيرة لتصفية المادة التى تصلهما بغزارة من خلال وكالات الانباء والوسائل الحديثة الاخرى التي تغذي الصحف بالاخبار والتقارير.

للصحفي نشاطه الخاص وانجازاته الخاصة وللصحيفة ايضا كوادرها التي تعتمد عليها فى الاساس لتزويدها بالاخبار والتقارير والمواد التي تحتاج اليها، ولكن ثمة دائما مادة اخرى تأتي جاهزة وتوضع تحت تصرف الصحف تأخذ منها ما تشاء وتترك ما تشاء وهذه المادة هي التي تحتاج الى مرشحات للتصفية..

فنحن نعلم ان مصادر الاخبار تتحكم فيها الوكالات الكبرى التي تلف خيوطها حول العالم وتحتكر الخبر بنسبة 90٪ من كل ما ينشر او يذاع في القارات الخمس ونحن نعلم كذلك ان هذه الوكالات على الرغم من محاولة ظهورها بالحياد الشديد فى التقاط وبث الاخبار الا انها مع ذلك ليست برئية تماما من تلوين الاخبار ولو بنسبة ضئيلة ولكن هذه النسبة الضئيلة الخفية هي التى يحتاج الصحفي والصحيفة الى مرشحات كثيرة حتى يكتشفاها في موضعها المحدد من الخبر الذي بين يديهما، هذا عن الخبر اما عن التقارير فان الامر فيه براح واسع للصياغة حسب الرؤية والموقف ووجهة النظر الخاصة، لذا لابد ان تكون هناك دقة فى الانتقاء والتمحيص واستخدام المرشحات.

الوكالات الاربع الكبرى التى تسيطر على مصادر الاخبار تخدم مصالح معينة بدون شك، وهي لعبت ادوارا خطيرة في مراحل مختلفة من تاريخ العالم المعاصر في قيادة الراي العام بل وربما في تشكيل وعيه ايضا.. تخدم مصالح وتضر بمصالح ونحن سنكون في منتهى السذاجة اذا تصورنا ان هذه الوكالات وهي وكالات غربية لحما ودما لن تكون متحيزة ضد المصالح العربية، بل لقد تبث هذا التحيز بالبرهان في كافة الحروب التي خاضتها الامة العربية ضد اعدائها وفى الصراعات التى خاضتها وما تزال تخوضها مع

خصومها وتبث ايضا فى حجم الاهتمام الذى تخصصه هذه الوكالات للاحداث التي تزدحم بها المنطقة وفي جميع ذلك بدى تحيزها واحيانا تحاملها العنصري واضحا جليا لا لبس فيه..

صحيح ان وزراء الاعلام العرب تنبهوا مبكرا الى هذه الاشكالية الخطيرة، وصحيح ايضا انهم اهتدوا الى حلول وقرارات تهدف الى تحرير الخبر في المنطقة العربية على الاقل من هذه السيطرة المخيفة التي في قبضة الوكالات الاربع الكبرى في العالم: اليونا يتدبرس، والاسوشبيتدبرس، وفرانس برس، ورويتر، وان كانت اثنتان منها قد اتحدتا فظلت الوكالة المتحدة الواحدة تستغل بقوة وكالتين، ولكن قرارات وزراء الاعلام العرب لم ترق الى قوة التنفيذ العملي لعراقة هذه الوكالات اولا ولامكانياتها الهائلة ثانيا ولخبرتها الطويلة ووسائلها المتغلغلة في كل الاوساط بما لن يكون متاحالأي مشروع عربي مهما كان طموحا ان يقدر على المنفسة مع الوجود الهائل لهذه الاحتكارات الكبرى.. وثمة مع ذلك وكالات اخرى كثيرة لا تحصى لكنها جميعا لا ترقى الى قدرات الاخوات الأربع ذوات التاريخ الطويل والباع الطويل فى العالم اجمع..

ومع التسليم بالامر الواقع. كراها لا اختيار، فإن على الصحفى الذي يكتب معتمدا على هذه المصادر وعلى الصحيفة التي تستهلك كوادرها اكوام المواد الاعلامية، اخبارا وتقارير وما الى ذلك ان يستخدموا على الاقل مرشحاتهم الدقيقة فلا يتحولوا الى مطايا لخدمة مصالح معادية لاوطانهم او يروجوا لمواد مغشوشة ومضرة بالعقول..

الاخبار التي تقدمها هذه الوكالات مغرية ومغلقة بالموضوعية المصطنعة ومجهزة بالعناصر التى تجعلها براقة امام فضول الصحفيين ولكن مع ذلك فانهم يحتاجون الى قدر غير يسير من الحذر حتى لا يقعوا فى المحظور .. والتقارير تطبخ بعناية فائقة وتصطنع الدقة وتتكىء الى مصادر وتدعي العلم ببواطن الامور وتجهز بما يلزم من الوقائع والتواريخ والارقام والاحصائيات والمرجعيات الموثوقة ومع ذلك فهي محشوة في نفس الوت بالديناميت لكن ما هو ادهى وامر من كل ما تقدم ان تتبنى الصحف او يتبنى الصحفيون وجهة نظر هذه الوكالات.

■ **هنا يتحول الامر الى موقف فيه شبهة وعليه علامات استفهام!**

أم على قلوب اقفالها؟

• **سؤال** يفرض نفسه بالضرورة.. ماذا يستطيع العرب ان يفعلوا امام الموقف الهندى الذى طوى المسافات الشاسعة وجاء الى منطقة الشرق الاوسط من اجل التعاون مع اسرائيل فى مجال البحوث النووية وتحقيق صناعة القنبلة الذرية وتاكيد دخول الهند الى النادى الذري لكسر انف العرب والمسلمين الذين يمارسون «الارهاب» على حد زعم الهنود هنا فى فلسطين وهناك فى كشمير ويطلقون اسم «القنبلة الاسلامية (!) على القنبلة الذرية الباركستانية؟

• **هل** يستطيع العرب مثلا ان يهددوا المصالح الهندية المتمثلة فى الاستثمارات الضخمة والشركات الهندية الكبرى التى تظفر بعطاءات عملاقة فى الاقطار العربية او وقف التجارة الهندية وهى تقدر بمئات الملايين من الدولارات او هل فى امكانهم ان يطردوا العمالة الهندية التي تحل ازمة البطالة فى الهند على حساب الايدى العاملة العربية وخاصة في منطقة الخليج، وهذه الضغوط هى اضعف الايمان فى مقابل هذا التحدي السافر الذي اعلنته الهند على لسان وزير داخليتها هكذا جهارا نهارا وبدون ادنى حياء؟

• اغلب الظن ان العرب لن يفعلوا شيئا واغلب الظن انهم سيعصرون خدهم الايسر بعد ان اخذوا اللطمة على خدهم الايمن وهذا منتهى التسامح الذى اصبح من شيم العرب!

• لقد فرط العرب فى البقية الباقية مما كان لديهم من هيبة واصبحوا محل سخرية امام العالم..

• ولقد اظهر العرب ضعفا وتخاذلا طوال الربع قرون الاخير فاغروا اعداءهم وخسروا اصدقاءهم لهوانهم..

• تحلل تضامنهم الذي قام لفترة وجيزة فى مستوى لا بأس به من المعقولية وبدلا من ان يستمروا فى مواجهة التحديات يدا واحدة استداروا نحو بعضهم وتناحروا بما فيه الكفاية وتفرقت بهم السبل وشغلتهم مصالحهم الاقليمية او ما بدا انه مصالح اقليمية

فانشأوا علاقات خارجية متناقضة وعلى حساب بعضهم البعض وانحازوا الى معسكرات متعادية وتناوبوا البغضاء نيابة عن الاخرين وذهبت ريحهم بين الشرق والغرب وفقدوا ابسط مقومات التفاهم وهرولوا فى كل اتجاه لا رابط ولا ضابط حتى اذا صدمهم الواقع وقفزا خائرين يتبادلون نظرات الحيرة وكانهم غرباء رمت بهم المقادير مصادفة فوق ارض واحدة!

• انظر الى هذه السوريالية العربية وهذا مجرد مثال قريب الى الذاكرة البعض يهرول نحو اسرائيل فى سباق محموم لتوقيع معاهدات السلام حيث الاسلام والبعض يتدافع لكى يجد مكانا فى طابور التحالف الصليبي ضد العراق فى حرب الخليج، والبعض ينكفئ على نفسه وينطوى على ذاته ويقفل وراءه سبعة ابواب وانظر الى تلك المكاسب القديمة وهي تنتكس بسبب هذا التخاذل المشين: الدول الافريقية تعيد علاقاتها باسرائيل، ومنظمات عدم الانحياز تنهار (ومن المصادفات ان ابرز مؤسسيها عبد الناصر الزعيم العربى ونهرو الزعيم الهندي) وشعار الحياد الايجابي يسقط ويلقى به فى زبالة التاريخ وتتراجع امة المد القومي ليحل محلها امة التلفيق السياسي والجغرافي والتاريخي مذبذبة ومزعزعة الثقة بالنفس فما الذي يغري الآخرين باحترامها او عمل حساب لها؟

• القول بان التحالف الهندى الاسرائيلي هو رد فعل لتصفيق العرب والمسلمين لنجاح الباكستان فى اجراء تجاربها الذرية، او لان العرب والمسلمين متعصبون وارهابيون قول فيه مبالغة، انه صحيح نسبيا ولكن السبب الرئيسى هو عدم اعتبار للعرب بعد كل هذا التخاذل الذى اصابهم ولذلك صارت المنطقة ساحة مستباحة.

• واعود الى نفس التساؤل الذى بدأت به هذه الاضاءة السريعة: هل يستطيع العرب ان يقاطعوا الهند وان يهددوا مصالحها فى المنطقة كرد فعل على هذا التحدي الذي يمس الكرامة وهذا اضعف الايمان.. ام على قلوب اقفالها؟

مطلوب تحالف اسلامي مسيحي لحماية الاسرة

ماما امريكا تريد من العالم ان يعود الى عصر المشاعية الاولى حيث كان الانسان يعيش في غيبوبة التخلف والبدائية وحيث كانت العلاقات الاسرية معدومة والعلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة فى اباحية كاملة فلا قيود على هذه العلاقة ولا رقابة عليها المرأة تختار الرجل او الرجال التي تشاء والرجل يختار المرأة او النساء اللواتي يشاء باعداد غفيرة من الجنسين ودون تحديد وتطالب ماما امريكا باطلاق حرية الاجهاض للمرأة ونسبة الاولاد لمن يشاء، الرجل او المرأة بدون الزام لاي منهما.

● وتقول التقارير الاخبارية ان المناقشات المغلقة للدولة الخاصة للجمعية العامةالمعنية بمتابعة توصيات المؤتمر العالمي الرابع للمرأة شهدت خلافات حادة حول الورقة التي قدمتها امريكا بالتعاون مع بعض الدول الاوروبية والداعية الى اطلاق الحريات الجنسية بشكل اباحي لكل نساء العالم.

وتقول التقارير ايضا ان ليبيا والسودان والفاتيكان وعدة دول اسلامية تصدت لهذه الورقة الامريكية الخطيرة التى تتعارض تعارضا كاملا وتتصادم مع جميع الاديان السماوية لكن امريكا مع ذلك ظلت تدعو بكل السبل الى اصدار قرارات (باباحة الاجهاض وتعليم المرأة كيفية التخلص من الحمل اذا كانت لا تريده والسماح للمرأة بما يسمى بالتحرر الجنسي وممارسة حياتها بالطريقة التى تراها ومع من تشاء دون التزام ديني او اخلاقي والاعتراف بحق الشذوذ بعيدا عن الممارسات التقليدية).

● هذه اذن هي بعض اوجه العولمة والنظام العالمي الجديد وتعميم النموذج الامريكى.

الدعوة للعودة الى (المشاغبة الاولى) مسألة تروق لامريكا الا فيما يتعلق بالملكية.. فمن المعروف ان الانسان فى هذه المشاعية البدائية لم يكن يعرف شيئا اسمه الملكية الخاصة بل كان كل شئ في حياته مشاعا بين الجماعة بما في تلك العلاقات الجنسية بين

الذكر والانثى وامريكا اختارت هذه الجزئية فقد اما فيما يتعلق بالملكية فذلك أمر اخر فى عرف «زعيمة» العالم الحر!!

• امريكا تريد ان تنهار القيم والاخلاق فى العالم كله، انها تعاني من انهيار العلاقات الاجتماعية وتفشى الانحطاط فى سلوك الافراد والجماعات وهي مجتمع بلا هواية ولا رابطة قومية او اجتماعية لانها اساسا تتكون من شذاذ الافاق الذين هاجروا من كل انحاء هذا الكون الفسيح. فامريكا هي البلد الوحيد في العالم الذي لا قومية وبالتالي لا رابطة اجتماعية تجمع بين افراده ولذلك فهو مجتمع يؤمن بشيء واحد هو العلاقات المادية، اما الاخلاق فلتذهب الى الجحيم والاديان مجرد تراث فى خزائن المشغوفين بالتنقيب فى الاثار، فلماذا اذن لا يسير العالم كله على هذا المنوال الاباحي الشامل؟

• ولعل امريكا ومعها بعض الدول الاوروبية تريد ان تنهار القيم في العالم وان تتحلل الروابط داخل المجتمعات وان يضعف الوازع الديني والتوازن الروحي فيخلو لها الجو ذلك من كل عناصر المقاومة لمشروعاتها المشبوهة التى تحمل حينا راية العولمة وحينا راية النظام العالمي الجديد والمدينة المبشرة بسعادة الانسان واقرب طريق للوصول الى هذا الهدف هو تمزيق الوحدة التى يقوم عليها كيان المجتمعات (الاسرة) والاسرة التى تعد المرأة والرجل خليتها الاساسية، فماذا ضربت العلاقة الانسانية فى النواة واصيب بالانهيار والتفتت واصبحت مجرد علاقة حيوانية مجردة من كل قيمة يسهل بعد ذلك تدجين العقل وقيادة الافراد من انوفهم نحو المعين الامريكي الذى يروى العطش الفطري لدى الانسان باللبن المصنوع داخل المعامل الامريكية المتطورة. ان الجبهة التى قاومت هذه الورقة الامريكية والمكونة من ليبيا والسودان والفاتيكان وبعض الدول الاسلامية عليها ان تنظم مقاومتها بشكل اكثر فعالية بحيث تؤسس هيئة فعالية تتصدى لهذه الدعوة التى تشبه القنبلة الموجهة الى المجتمعات الاسلامية والمسيحية على السواء لان فشلها فى المؤتمر المنصرم لا يعني هزيمتها نهائيا بل انها ستعود فى شكل مشروعات وتوصيات وافكار مسمومة تدس في كل ملقتى يتعلق بالمرأة او بالاسرة او حتى بالارض والبيئة، فالمشروع الامريكى ابعد خطورة من كل تصوراتنا الحالية.

ليس هناك ما يبعث على الخجل

• لم يكن عدد كثير من الشعراء اصحاب المواقف الوطنية الذين انحازوا لقضايا شعوبهم ودافعوا عنها في شعرهم متحملين في سبيل ذلك الوان العذاب والسجون والمطاردة والتشريد والمنفي لم يكونوا يتوارون عن الناس لحظات احساسهم بالضعف واليأس والاحباط.. لقد كان اهم ما يميزهم هو الصدق ولذلك لم يكونوا في حاجة عندما يحسون في لحظات كهذه بالمرارة الى اخفاء حقيقة ما يشعرون به فيكتبون شعراء يتذرع بالامل الكاذب ليخفي الدماء التي تنزف في القلب او ليوارب انين الوجع بالالفاظ التي تستدر عواطف القراء..

• كانت الشفافية هي وسيلتهم الوحيدة في مخاطبة الجماهير ولذلك عرفت الجماهير نفسها كيف تحترم هؤلاء الشعراء وتفسح لهم في صدرها وتحتضنهم وتعتبرهم ضميرها الحي.. لقد اختبرتهم من خلال التجربة فوجدت انهم لا يسيرون في دروب متعرجة، وان الشعر لديهم ليس بضاعة مغشوشة وان الريف لا يعرف طريقة الى كلماتهم لذلك عاشت حتى قصائدهم اليائسة بين الناس وظلت متوقدة سواء بسواء مع القصائد الاخرى التي تشعل الثورة وتحرض على النضال وتدعوا الى التعليق بالامل حتى في اشد الظروف ظلاما وفجيعة..

• لقد اكتشفت الجماهير حقيقة جوهرية في هذه الحالات الانسانية وهي ان من حق هؤلاء الشعراء ان يعبروا عن ضيقهم وتبرمهم مما يكابدونه في حياتهم من شقاء وانهم بشر لهم مشاعرهم الخاصة ولحظات ضعفهم الخاصة ويعتريهم الخور احيانا في القدرة على الاحتمال والمقاومة فلماذا تصادر حقهم في التعبير عن خلجات انفسهم الدقيقة حتى ولو كانت على هذا النحو، ثم اكتشفت الجماهير بحدسها الذي لا يخطئ ان هذه القصائد في حياة هؤلاء الشعراء الوطنين الشرفاء هي ايضا دعوة الى استئناف النضال من اجل الحق والعدل والخير بمجرد انتهاء لحظة عابرة لالتقاط الانفاس!

لقد عاش المرحوم على الرقيعي في ليبيا حياة مليئة بالشفاء والتعب مناضلا من اجل قضية شعبه وحاملا شعلة الشعر في وجه الظلم والفساد والارتماء في احضان الاستعمار ومصادرة الحريات العامة وتبديد ثروة النفط على الملذات والمفاسد بينما يعيش شعبه

حياة الحرمان والبؤس ومع ذلك لم يتردد في لحظة من لحظات الضيق والتبرم في انشاد قصيدته الطافحة بالمرارة واليأس مخاطبا بلاده:

■ ماذا اخبر عنك هل تجدي وسيلة

● يا جنة الغرباء يا مثوى طفولتنا الجميلة

■ ماذا وخيرك يا بخيلة

● بددته للريح خيرك يا بخيلة

● وفي نفس المرحلة التاريخية كان شاعر اخر من نفس جيل على الرقيعي هو حسن صالح يقول مشائما في احدى قصائده ومخاطبا بلاده ياضا:

■ ملعونة ملعونة انت

● اماه يا مرضعة الملقت .. الخ الخ

● ولكن الشعب رغم هذا التشاؤم لديهما ظل يرفع اسميهما الى اعالى الثريا وماتا ولم يشهدا قيام الثورة واطلاق حريات الناس وتحرير ثروة النفط وطرد القواعد الاجنبية وانتصار قيم الخير اللذين كانا يدعوان لها..

وعلى نفس القياس وجدنا شاعرا عظيما آخر في تونس هو ابو القاسم الشابي يندلع غاضبا في قصيد يائس شهير يقول ..

■ ايها الشعب ليتني كنت حطابا فاهوي على الدوع بفأسي، ولكن الناس في تونس تذكروا فورا:

اذا الشعب يوما اراد الحياة

فلابد ان يستجيب القدر

● **ولم يقل احد عبر تاريخ الادب بان الشابي كان متشائما ضد الحياة والامل..**

ومن اعظم الذين عبروا عن لحظات اليأس والاحساس العميق بالاحباط كان عبد الوهاب البياتي الشاعر الانساني والوطني والمناضل الكبير.. فبد كل قصائد النضال والدعوة الى الثورة ورفض الظلم والتخريض على بناء المجتمع الانساني الذي يسوده السلام والعدل والحرية وجد نفسه في لحظة انسانية صادقة يخلو الى نفسه وهو يهمس:

■ ثم ماذا هذه انت حزينة

● تلعنين الموت في الجهر وسرا تعشقينه..

هكذا تكون القصائد الوطنية دائما مرصعة بالصدق والشفافية حتى وان كان هذا الصدق يعبر عن لحظة ضعف فالشعراء الشرفاء ليس لديهم ما يخفونه عن الناس..

وجادلهم بالتي هي احسن

• كلما وقعت في يدي صحيفة مقصوصة الصفحات او مطموسة السطور احس بان الرقابة في البلد الذي يمارس هذا الفعل لا تتابع التطورات الخطيرة التي حدثت في وسائل الاتصال، لقد اصبح في امكان أي انسان بواسطة هذه التقنية المتقدمة ان يطلع على ما يحدث فى العالم فالفضلئيات الآن تعد بالمئات والانترنت اصبح على قارعة الطريق فى المقاهى والمحلات العامة وجميع الصحف الآن لها مواقع معروفة اي ممارسة للرقابة اذن هو موقف لا معنى له وانما يضفى اهمية قد يستحقها العمل المطموس او المقصوص، ومقص الرقيب صار من مخلفات الماضى وجميع اشكال المصادرة لا معنى لها وانما هي اهدار لوقت الرقيب الذي يجب ان يستفاد به في عمل اكثر نفعا.

• وما اكثر الاعمال التي تمت مصادرتها ويفتش عنها المرء من باب اشباع الفضول فيكتشف انها تافهة، او مليئة بالمغالطات والتلفيق والتزوير، والناس فى كل مكان بلغوا سن الرشيد يستطيعون ان يميزوا بين الحق والباطل وحملات التشويه المغرضة والمقالات التي لا تعبر الا عن احقاد شخصية وهي بالتالي لن تؤثر الا برد الفعل المعاكس الذي يضير اصحابها ويصمهم بالتزوير، ومقص الرقيب حين يمضى فى ممارسة مهمته التي لم يعد لها معنى سيفتح المجال واسعا للتكهنات المغلوطة والتفنن فى خلق الاشاعات التى لا صلة لها بالواقع ويدفع الظنون والتخرصات التي ما كانت لتحدث لو تركت الامور على ماهي عليه وطرحت المطبوعات لتقدير الناس.. صحيح ان ما يراه الرقيب يستحق المصادرة قد يثير الفضول فى البداية ولكنه مع الزمن سيفقد قيمته ولن يغير من قناعات الناس الصحيحة شيئا وسينظرون مثلما ينظرون الى آي شيء ساذج او حتى حين له بريق من الراي او وجهات النظر فان ذلك لا يبرر مصادرته فتنوع الاراء ظاهرة ليست من الخوارق وانما اصبحت طبيعية على كل حال يهتم بها الناس قليلا ثم سرعان ما يخلفونها وراءهم بحكم الواقع الذي يعايشونه والحياة على العموم تمر بكل ما فيها من زخم ولن تتوقف

عند وجهة نظر مخالفة فى مجلة او في جريدة او محطة فضائية.

على انه من ناحية اخرى ايضا ثمة عشرات الناس الذين لهم الاستعداد للاشتباك مع الاعمال التى يصادرها الرقيب لمناقشتها والرد عليها وستكون عندهم مناسبة لكشف الحقائق وتصحيح الاخطاء، وهذا كله ظاهرة صحية، ولقد عايشت بنفسي استعداد وتحمسهم للمناقشة لو انهم منحوا فرصة الاطلاع ووصلتهم الاشياء كما هي لم تصلهم مجرد نتف على السنة الرواة والروايات عادة لن تكون كافية لتوفير مناخ الجدل السليم.

● كما اننا وجدنا ان حملات مغرضة شنت من خلال وسائل الاعلام العربية وهى حملات سرعان اكتشف الشارع العربي مدى ما فيها من تحامل على الحقيقية وكانت محل جدل واختلاف شديد وهي على اية حال تأخذ وقتها واحيانا حتى حقها في التعبير عن نفسها ولماذا لا، ان الواقع برمته قابل للجدل والتعبير عن الاراء المخالفة، ولن يكون في امكان أي احد بان يقوم ان جميع البشر يتفقون دائما على موقف واحد واسلوب واحد فى التفكير، وحتى فى ايام الرسول صلى الله عليه وسلم كان هناك الجدل والخصام والاختلاف ولم يغل عليه الصلاة والسلام بمصادرة الراي بالوسائل القمعية او بالعنف فلقد كان يدعو الى الجدل بالحسنى والحوار والنقاش بسماحة النفس وطهارة الروح.

● ان الدعوة الى انسياب المعرفة والراي مهما كان فيه من درجة الخلاف هي الاسلوب الاجدى، وهو وحده القادر على تعميق قناعات الناس وبناء مواقفهم على اسس صحيحة واراء صائبة، لم تعد اية حراجز قادرة على الوقوف فى وجه تدفق المعارف فالاتصال بين البشر ليس من خلال وسائل التقنية الحديثة فقد وانما من خلال السفر والتبادل والاختلاط الغى الحدود بجميع اشكالها، ولذلك فان الرقابة مجرد مضيعة للوقت ولا معنى لها سوى اتهام الناس بالجهل والعجز وعدم القدرة على التمييز بين الاشياء او كما قلت بين الحق والباطل.

● لقد ولى زمن الاثارة وحل محله العقل والمنطق ومتى يسود العقل المنطق فان الخوف ينتفي تماما، او يجب ان يكون الامر كذلك.

بين السطحية العابرة والفن الاصيل

هبط (محمد هنيدي) هبوطا شديدا باسرع مما توقع جميع النقاد وظهر فى شريطه الاخير (الواد بلية ودماغه العلية) ايها حاجة، لا هو ممثل كوميدي ولا من يحزنون مجرد مهرج يعتمد على القفشة السطحية واللقطة تصنعها المصادفة قد تضحك بعض السذج ولكنها لا تصنع كوميديا حقيقية تعالج قضية او موضوعا هادفا وجاء الشريط مجرد تلفيق لمواقف متنافرة مفككة يقودها الافتعال وليس المنهج فكانت ردة الفعل شديدة واكتشف الناس ان هنيدي ضحك عليهم واخذ فلوسهم بالملايين وانتهى عند العمل الثالث على الاكثر..

ومحمد هنيدي كسب الملايين كما لو يكسبها صناع الكوميديا السابقون وحققت افلامه دخلا لم يسبق للسينما المصرية ان شهدت مثيلا له، وكان لابد ان يحدث ذلك فهذه الملايين التى كسبها هنيدي هى ملايين جاءت من الهواء وليس من حركة اقتصادية سليمة داخل المجتمع فهي ملايين زائدة عن الحاجة وكان لابد ان يأتى فهلوي ذكي مثل محمد هنيدي يجمعها فى لحظة ويضعها فى جيبه وينصرف.. فالثراء الفاحش الذي جاء نتيجة ممارست ظهر انها خارجة على القانون وانها بنت صفقات ومضاربات وممارسات ملتوية ومشبوهة صنعت طبقة تفكر بشكل سطحي وتعيش بشكل سطحي وتنفق ايام حياتها فى العبث فاذا جاءت الظاهرة التي مثلها محمد هنيدي بهذه السطحية والسذاجة مالت لها وانفقت ما في جيبها من اجل قضاء ساعات من التهريج والعبث ولن تشعر بانها فقدت شيئا.. فالزمن لديها لا معنى له لديها لا قيمة له لانه يأتي بسهولة وبدون ادنى مجهود وانه طفرة، تبحث عن مجال لانفاقه واكثر المجالات اتفاقا مع ميولها هو مجال التهريج الذي ينتحل صفة الكوميديا وهو بعيد عن روح الكوميديا كل البعد وخال من أي ثقافة جادة وهدف واضح.

للكوميديا تاريخ عريق فى مصر.. والنجوم الكبار الذين صنعوا هذا التاريخ لم يأتوا من فراغ ولم يتقدموا الصفوف فى مجال التمثيل بالمصادفة او بالفهلوة او كيفما اتفق، لقد تبوؤا وامكانهم نتيجة كفاح طويل وثقافة عالية ومنهج فنى مدروس بعلم وتمكن وفهم عميق،

لذلك كنت استغرب عندما اخذت الصحف تهلل لظهور (محمد هنيدي) وهي تقول بانه انهى عصور الممثلين الكوميديين الكبار وانه وحده سيتربع على عرش هذا الفن لسنوات طويلة، وفى المقابل كانت هناك اصوات نقدية حادة تصدت هذه الظاهرة واخذت تدرسها فى حجمها الحقيقي وقالت فى النهاية بانها مجرد فقاعة.. وثبت فعلا انها فقاعة، وهي فقاعة نهب، نهبت من الفن جزءا كبيرا من وقته وتاريخه وامكانياته واهتمامات الناس الذين هم خارج الطفرة، خارج عالم الطبقة المصادفة التي نشأت داخل المجتمع واخذت من ماله وامكانياته الاقتصادية وتربعت على عرش الثراء تبذر ذات اليمين وذات الشمال بلا حساب.

الا ما اكثر ما تصدى الكتاب الشرفاء لهذه الظواهر، وقفوا في وجه هذا الهبوط المشين فى الفن ووقفوا في وجه هذه الثقافة السطحية التى تغرق الاسواق وصرخوا بملئ افواههم ضد التيارات التى تفسد الذوق وتسيء للتاريخ المجيد للنهضة الادبية والفنية والثقافية التى تكونت على مهل وبمثابرة صلبة ونضجت عبر سنوات طويلة.. وقفوا في وجه الانفاق السفيه والظواهر التى اساءت للمجتمع وخلقت تمايزا شرسا بين الفئات ولكن مع ذلك ظل الهبوط يجد فسحة تشجعه وتصفق له فاستشرى مثل فايروسات خطيرة وتكونت له ادواته ووسائله ونمى بسرعة، لكن هذا النمو هو تماما كنمو الطفح الضار.. مداه قصيرة وزمانه طارىء وعابر والبقاء دائما للاصلح..

لقد مرت مصر بمعركتين هامتين فى تاريخها المعاصر ضد الثراء الفاحش الذي يأتي مصادفة، معركة ضد اثرياء الحرب قبل الثورة، هؤلاء الذين اثروا ثراء فاحشا ايام الحرب العالمية وبعدها بالتعهدات للقواعد الاجنبية وبالمتجارة في مخلفات الحرب وباحتكار السلع والتحكم في قوت الناس ورأينا كتابا كبار يتصدون لهذه الظوهر ويحاربونها بكل ما لديهم من قوة ولربما كان من اهم وابرز رموز التصدي فى هذه المعركة رسامو (الكاريكاتير) وما تزال فى اذهاننا الى حد الآن تلك الرسوم الساخرة عن اثرياء الحرب وممارساتهم الجاهلة رغم الثراء الفاحش الذي بين ايديهم، والآن هاهم يقفون فى جبهة معركة جديدة ضد اثرياء الانفتاح هؤلاء الاثرياء الذين يحاولون ان يصنعوا فنهم وثقافتهم الخاصة التى لا تصلح الا للتسلية والمتعة الزائلة وارجاء اوقات الفراغ.

ومع ذلك تبقى مصر ويزول هؤلاء، ويبقى الفن تبقى الثقافة الاصيلة وترحل الغثاثات..

سيبقى عادل امام لانه اصيل ويرحل محمد هنيدي لانه طارىء، سيبقى محمد منير وسيرحل العشرات ممن يمارسون (الجعارة) الآن في عالم الاغنية..

عسى ان يكون ذلك خيرا

● لعل قمة الالفية الثالثة التي يعقدها الآن رؤساء اكثر من مائة وخمسين دولة من دول العالم في مقر الامم المتحدة في نيويورك هي بحق حدث هذا القرن المميز.

● واذ يستهل العالم دخوله الى القرن الجديد وهو مسلح بهذه الروح التي تنبئ عن الاحساس بالمخاطر التي تواجهها البشرية وتنبئ في نفس الوقت عن الاستعداد للتصدي لها لهو امر فيه قدر كبير من التفاؤل واهم ما سيحققه هو زحزحة (الغمة) التي كانت في الصدور بسبب الخوف من التهديد بالحرب لتحل محلها (بذرة) امل بان العالم اصبح الآن يفكر فى السلام ويبحث عن افضل سبيل لمكافحة ثالوث المرض والفقر والجهل، فهذا في حد ذاته مكسب عظيم اذ ان خلق المناخ الملائم لتحويل نفسيات الناس من حالة الاحساس بالرعب الى حالة توقع خلاص نهائي من الشرور والاثام شيء يشبه الحلم الذي طال انتظار اليوم الذي يصبح فيه حقيقة تتحدد ملامحها في افق الرؤية التفكير.

● والبيان الذي القاه «كوفي عنان» الامين العام للامم المتحدة ومشروع الميثاق الذي سيكون موضوع نقاش والذي اخذت الصحف ووكالات الانباء تلمح اليه طوال الاسبوع الماشي يبشر بهذا الاتجاه، ولا احد يعتقد بانه سيكون موضوع خلاف.. فبدون الاتفاق على هذا الميثاق وبدون الالتزام به وبدون بناء العلاقات الدولية القادمة على اساس نصه وروحه يصبح العالم مهددا بالخراب واستمرار البؤس والفوضى.

● وثمة في غضون هذا الحدث العالمي الخطير، حقيقة تكون ماثلة في الاذهان وهي مسؤولية الدول الكبرى في التمويل والانفاق بسخاء على المشروعات الاساسية التي ستترتب على خطة المستقبل، وبدون الانفاق السخي وتوفير الاموال الطائلة لتحويل الحلم الى حقيقة ستكون كل الافكار العظيمة مجرد حبر على ورق. والدول الكبرى في هذه الحالة سوف لن تتعدى موقف (رد الجميل) او في أسوأ الحالات موقف (التكفير عن الذب).

فالدول الكبري هي التي تسببت في هلاك الزرع والضرع ونصف سكان العالم.

والدول الكبرى هي التي تسببت فى انتشار الامراض والاوبئة فهي التي لوثت البيئة باجراء التجارب من كل الانواع وزرع مقابر النفايات وتسميم الهواء بالعوادم التي تمزق الغلاف الجوي للكرة الارضية.

● والدول الكبري هي التي نهبت ثروات الشعوب وجوعت الملايين حتى اصبح الناس ضحايا، مجرد ضحايا للسطو واللصوصية التي تمارسها الاحتكارات التي هيمنت على مقدرات العالم على شكل «تروستات» و«كرتلاث» تمد سوالفها في كل مكان.

والدول الكبرى هي التي كدست الثروات وفائض الدخل حتى اصبحت غنية الى حد التخمة بينما الاخرون فقراء الى حد الاسفاف، وهي التي استثمرت الاسواق العالمية وفرضت الاسعار التي تريد واحتكرت التجارة والطاقة واستنزفت باطن الارض واحدثت الخلل في مستوى الدخل.

● واذن فهي مطالبة الآن بالنفاق بلا من على المشروعات الانسانية.

وليست المناسبة مكانا لتبادل الاتهامات او استعراض جراح الماضى او تسجيل الادانة ولكنها مناسبة لوضع الحقيقة في حجمها الطبيعي ومكانها من التاريخ.. واذا كانت مشكلة «الايدز» و «العطش» من ابرز المشاكل التى تأتي على رأس الاولويات فان الوصول الى حل في قضيتها يحتاج الى مليارات الدولارات والدول الفقيرة المشاركة الآن في هذه القمة لا تملك سوى الملاليم وهي الى جانب ذلك مثقلة بالديون ومختلفة بالمشاكل ولا حل امام الدول الكبرى اذا كانت النوايا مخلصة سوى ان تفتح خزائنها وتحرك الارصدة الضخمة المكدسة في البنوك على شكل ارصدة غير مستثمرة.

واذا تخلص العالم ولو على المدى البعيد من الاوضار التي يعاني منها الآن فستكون الدول الكبرى نفسها من اول المستفيدين، وسيعود اليها ما تنفقه الآن اضعافا مضاعفة في المستقبل، وخبراؤها الاقتصاديون ليسوا في حاجة الى من يفسر لهم ذلك.

■ الناس مشدودون الى نيويورك فعسى ان يكون ذلك خيرا!!

عند التقلب في انيابها العطب!

■ نشرت الصحف في الاونة الاخيرة ان فتاة ماليزية تبلغ من العمر ثمانية عشر عاما عرضت حياة مائة خمسين ثعبانا للخطر.. فقد عاشت هذه الفتاة لمدة واحد واربعين يوما مع هذا العدد الهائل من الثعابين وهي من نوع (الكوبرا) الشديدة الفتك بسمها والذي يقال بانه قادر على القضاء على فيل بيد ان السلطات الماليزية منعت الفتاة واسمها (انديرا سوريانتي) من الاستمرار في الجوار الممتع في قفص واحد مع الثعابين وحرمتها من تحطيم الرقم القياسي السابق الذي استمر اطول من هذه المدة فاخرجتها من القفص بدعوى ان وجودها يمثل خطرا على حياة الثعابين.

● والصحف التي نشرت الخبر في صفحاتها الاولى ابدت استغرابها من ان تكون الفتاة خطرا على ثعابين الكوبرا، وملات سطورها بعلامات الاستفهام واشارات التعجب مع انها لوتفكر في الامر لحظة واحدة لوجدت انه لا داعي لكل هذا الانزعاج والحيرة، السنا نحن الذين نصف الانثى بانها ثعبان وان سمها قاتل وغدرها شرير؟

هاهي اذن انديرا سوريانتي تقدم الدليل الذي لم يعد يقبل الشك قي صحة هذه المقولة الخالدة! وعندما قرأت هذا الخبر تذكرت على الفور نكتة قديمة تقول بان احدهم ذهب الى صديقه واخذ يقول له وهو في حالة ارتباك شديد.

● اسرع حماتك عضها تعبان.

● فرد عليه الآحر بكل برود.

● يستاهل!

والنكتة ليست في حاجة الى ذكاء خارق حتى تكتشف انها تعني ان سم (الحماة) اقوى من سم الثعبان، وان الثعبان هو الذي سيكون الضحية..

ولعل المرة الوحيدة التي انتصر فيها الثعبان على الانثى هي حالة (كليوباترا) الجميلة،

تلك المرأة التي عاشت اعظم قصة حب في التاريخ ولكنها عندما وجدت نفسها بدون (انطونيو) استحضرت احدى الافاعى السامة واستلقت على سريرها الشهير ثم وضعت يدها في فك الافعى فسرى السم في يديها واخذت تناجى حبيبها الى ان فارقت الحياة.. ولكن .. حتى في هذه الحالة فان الانثى هي التى استخدمت الثعبان برغبتها الخاصة لانها ارادت ان يكون موتها انتحارا تتحدث به الاجيال..

■ وهكذا اذن فان حالة انديرا هي مجرد تحصيل خاصل وتاكيد بالدليل العملي على صحة ما ذهب اليه الرجل طوال العصور من ان المرأة حية رقطاء عند التقلب في انيابها العطب!!

● دعك من القول بان المرأة مخلوق ضعيف او هكذا كنا نراها باستمرار ونعاملها على هذا الاساس فلا مانع لدينا من ان نضعها في مرتبة ادنى من مرتبة البشر، واننا نراها (ناقصة عقل ودين) وانها خلقت من ضلع اعوج، إن انت قومته كسرته، ومادامت ضيفة وناقصة عقل فلا مانع لدينا من ان ندوس على كرامتها وان نخونها وان نكذب عليها فهي دائما كائن لا معنى له الا في حالات معينة!

● ودعك من القول بان الضعيف او المستضعف قد ينتقم لكرامته احيانا وان انتقامه في هذه الحالة سيكون شديدا وان عضته ستكون اقوى من عضة الثعابين فهذه كلها مجرد تخرصات لا سند لها فالانثى خلقت افعى بطبيعتها، وانيابها مجهزة بالسم الزعاف ومن شيمتها الغدر..

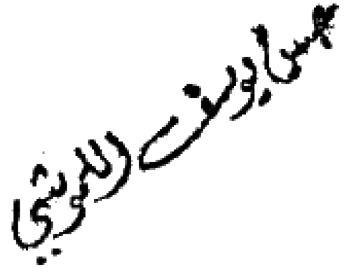
● ثم دعك مرة ثالثة من القول بان علوم الحيوانات والزواحف اثبتت ان الثعابين ليست معتدية بطبيعتها وانما هي تهاجم الانسان دفاعا عن النفس فقط في حالة شعورها بالخطر الامر الذي قد يخلق وضعا مشابها لدى النساء، فهذا كله كلام فارغ..

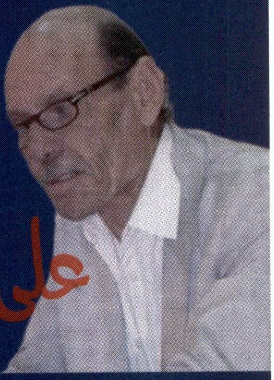
■ الانثى ثعبان، حية رقطاء، بل هي كوبرا .. وها هي (الحكومة) في ماليزيا تؤكد ذلك عندما منعت انديرا من المضي في لعبتها في (القفص) خوفا منها على حياة الثعابين.. فشكرا لها على هذه الخدمة الجليلة التي لا تؤكد صحة ما نذهب اليه في وصفنا للمرأة فقط وانما تؤكد ان الشرق فعلا هو مهد الحكمة..

■ ان الافاعى وان لانت ملامسها

■ عند التقلب في انيابها العطب.

الفهرس





على طرف اللسان

مقالات مجمعة

كامل الهادى عراب

ليست هذه أحلام يقظة.. لقد اثبت شعبنا العربي فى كل مكان منذ انتفاضة الأقصى انه لم يفقد حيويته بعد، ةلم يفقد نخوته بعد ولم يفقد تأثيره وقدرته على الحركة فى الوقت المناسب، وهذا شىء جدد فينا الامل حقيقة ورفع من معنويات أشقائنا الفلسطينيين ومادام الأمر كذلك فكل شىء ممكن وليس ثمة من مستحيل أمام الارادة الحرة..

هذه أفكار محددة لم أنتظر حتى تتبلور فى ذهني الى الصيغة النهائية وأنما اخذت أطرحها على الفور فى شكلها (الخام) وكما قلت اكثر من مرة هي اقتراحات قابلة للاثراء والتعديل والتطوير.. غير أن ما سيقتلها فى المهد وهذا مالا أتمناه لها هو أن تقابل بالتردد تحت أي مبرر كان.. وما كان منها قابلا للتنفيد من خلال مبادرات فردية فليتم ذلك على الفور وما كان منها قابلا للتنفيد عن طريق مؤسسات شعبية فليتم ذلك على الفور أيضا.. والمشروع هو مشروع عربي واسلامي، والانتفاضة في عنفوان ملحمتها فاي اهدار للوقت سوف لن يفيدها فى شىء.

من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن إجتهد وأخطأ فله أجر واحد، على أن الاجر كله الآن للذين يبذلون دمائهم فداء للاقصى ولارض فلسطين!.

الهيئة العامة للثقافة